

يقضى فيه بين الناس ، ويوماً يخلو فيه للعبادة ، ويوماً يخلو فيه مع نسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان يحسد فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فقال : أي رب ! أرى الخير قد ذهب آبائي به ، فأعطني مثل ما أعطيتهم ، فأوحى الله إليه ، إن آباءك ابتلوا ببلاء فصبروا ، أبتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلى إسحاق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف .

فقال : رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم ، فأوحى الله إليه : انك مبتلي فاحترس .
وقيل كان سبب البلية أنه حدث نفسه أنه يطيق أن يقطع يوماً بغير مقارفة سوء فلما كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على أن يقطع ذلك اليوم بغير سوء وأغلق بابه وأقبل على العبادة ، فإذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه ، فأهوى ليأخذها ، فطارت غير بعيد من غير أن يبأس من أخذها فما زال يتبعها وهي تفر منه حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه حسنها فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها ، فاستترت به فزاده ذلك رغبة ، فسأل عنها ، فأخبر أن زوجها بثغر كذا ، فبعث إلى صاحب الثغر بأن يُقدم أوريا بين يدي التابوت في الحرب ، وكان كل من يتقدم بين يدي التابوت لا ينهزم : إما أن يظفر أو يقتل ففعل ذلك به فقتل .

وقيل : إن داود لما نظر إلى المرأة فأعجبته سأل عن زوجها فقيل انه في جيش كذا ، فكتب الى صاحب الجيش أن يبعثه في سرية الى عدو كذا ، ففعل ذلك ، ففتح الله عليه ؛ فكتب إلى داود، فأمر داود أن يرسل أيضاً إلى عدو كذا أشد منه ففعل فظفر، فأمر داود أن يرسل إلى عدو ثالث ، ففعل فقتل أوريا في المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهي أم سليمان في قول قتادة (1) .

= يظن نبي محبة قتل مسلم وقد روي عن علي أنه قال :
" من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدّته
مائة وستين جلدّة ، وذلك حدّ الفرية على الأنبياء " ، وهو كلام
مقبول من حيث المعنى إلا انه لم يصح عن الإمام ذلك كما
قال العراقي .

(1) موضوع أخرج هذا الحديث الحكيم الترمذي في
نوادير الأصول ، وابن أبي حاتم ، (كما في الدر المنثور 5 /
300 : 302) ، وابن جرير في التاريخ (1 / 483 : 484) ،
والبغوي (بهامش ابن كثير و المنار 191 / 7 : 192) وفي
سنده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وفي سنده أيضاً : يزيد بن أبان
الرقاشي : ضعيف قال النسائي ، والحاكم : متروك .

وقيل : إن خطيئة داود كانت أنه لما بلغه حسن امرأة أوريا فتمنى أن تكون له حلالاً ، فاتفق أن أوريا سار إلى الجهاد فقتل فلم يجد له من الهم ما وجد لغيره فبينما داود في المحراب يوم عبادته وقد أغلق الباب إذ دخل عليه مَلَكَانِ أرسلهما الله إليه من غير الباب فراعته ذلك فقالا : لا تخف نحن {حَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَنَ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهِدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاجِدَهُ فَقَالَ : أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ } (1) أي قهرني وأخذ نعجتي فقال للآخر ما تقول ؟ قال صدقَ إني أردت أن أكمل نعاجي مائة فأخذت نعجته . فقال داود : إذا لا ندعك وذاك . فقال الملك : ما أنت بقادر عليه . قال داود : فإن لم ترد عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا وأوماً إلى أنفه وجبهته . قال : يا داود ! أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت . امرأته ، ثم غابا عنه (2) .

فعرف ما ابتلي به وما وقع فيه ، فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بد منها ، وأدام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطى رأسه ، ثم نادى ، يا رب ! قرح الجبين ، وجمدت العين وداود لم يرجع إليه في خطيئته بشيء : فنودي أجائع فتطعم ؟ أم مريض فتشفى ، أم مظلوم فتنصر؟ قال : فنحب نربة هاج ما كان نبت فعند ذلك قِيلَ الله توبته وأوحى إليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال : يا رب ! كيف أعلم انك قد

(1) ص 220 .

(2) قلت بل هذا باطل وقد بينا أنه من الإسرائيليات أما الوجه الصحيح لتفسير الآية أن داود عليه السلام ، كما في ذكر المصنف كان له يوم للعبادة يختلئ فيه مع نفسه فدخل عليه السلام مكان خلوته في ذلك اليوم فإذا به ! بينما هو مستغرق في الذكر والمناجاة يرجلين تسورا عليه المحراب (وقد نصت الآية على ذلك) فارتاع داود عليه السلام وظن بهما سوءاً فإذا بهما خصمان يريدان أن يحتكما إليه فقض بينهم فلما تبين له أنه قد ظن بهم سوءاً حرّ مستغفراً منيباً .
وقال بعض أهل العلم (الشفا 2 / 158) أنه عندما سمع القضية من الأول وكان الظلم صارخاً اندفع داود بالقضاء قائلاً : (لقد ظلمك يسؤال نعتك إلى نعاجه . . .) دون أن يستمع إلى قول الطرف الآخر في القضية فلما انتبه لخطئه خر راکعاً وأتاب .

هذا الحق الذي يقال في هذه القضية ولا مسوِّغ لتفسير هذه الآيات على طريقة اليهود - لعنهم الله الذين ما تركوا نبياً من أنبياء الله إلا وألصقوا به أبشع المعاصي .

غفرت لي ؟ وأنت. حكم عدل لا تحيف في القضاء إذا جاء أوريا يوم القيامة آخذ رأسه بيمينه تشخب أوداجه دماً قبل عرشك يقول : يا رب ، سل هذا فيما قتلني ؟ . فأوحى الله إليه إذا كان ذلك دعوته وأستوهبك منه فيهبك لي فأهبه بذلك الجنة . قال : يا رب ! الآن علمت أنك قد غفرت لي قال : فما استطاع داود بعدها أن يملأ عينه من السماء حياء من ربه حتى قبض .

ونقش خطيئته في يده فكان إذا رآها اضطربت يده ؛ وكان يؤتى بالشراب في الإناء ليشربه فكان يشرب نصفه أو ثلثيه ، فيذكر خطيئته ، فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ، ثم يملأ الإناء من دموعه . وكان يقال : إِنَّ دَمْعَةَ دَاوُدَ تَعْدِلُ دَمْعَ الْخَلَائِقِ وَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَخَطِيئَتُهُ مَكْتُوبَةٌ بِكَفِّهِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ذَنْبِي ذَنْبِي فِدْمِنِي فَيَقْدُمُ فَلَا يَأْمَنُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَخْرِنِي فَلَا يَأْمَنُ (1) .

وأزالت الخطيئة طاعة داود عن بني إسرائيل واستخفوا بأمره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا وأمه ابنة طالوت فدعي إلى نفسه فكثر أتباعه من أهل الزيب من بني إسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع إليه طائفة من الناس ، فحارب ابنه حتى هزمه ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بَعْضُ قَوَادِهِ وَأَمْرَهُ بِالرَّفْقِ بِهِ وَالتَّطَلُّفِ لَعَلَّهُ يَأْسِرُهُ وَلَا يَقْتُلُهُ ، وَطَلَبَهُ الْقَائِدُ وَهُوَ مِنْهَزِمٍ فَاضْطَرَّ إِلَى شَجَرَةٍ فَقَتَلَهُ ، فَحَزَنَ عَلَيْهِ دَاوُدُ حَزْناً شَدِيداً وَتَنَكَّرَ لِذَلِكَ الْقَائِدِ .

ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام

قيل : أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس ، وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهاذا قصده ليدعو فيه. فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، وتوفي قبل أن يستتم بناءه وأوصى إلى سليمان باتمامه (2) وقتل القائد الذي قتل

(1) قد قدمنا أن كل ذلك باطل مردود.

(2) الذي في التوراة أن داود جهّز كل شيء لبناء الهيكل

ولكن الله أخبره أن سليمان هو الذي يبنى البيت

(الملوك الأول 8 : 18) (منيرية) .

أخاه ايشا بن داود(1) .

فلما توفي داود ودفنه سليمان تقدم بانفاذ أمر ، فقتل القائد ، واستتم بناء

المسجد بناه بالرخام ، وَزَحْرَقَهُ بِالذَّهَبِ ، ورضه بالجواهر ، وقوي على ذلك جميعه ، بالجن والشياطين . فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرب قرباناً فتقبله الله منه ، وكان ابتداءه أولاً ببناء المدينة، فلما فرغ منها ابتداءً بعمارة المسجد، وقد أكثر الناس في صفة البناء مما يستبعد ولا حاجة إلى ذكره .

وقيل : إن سليمان هو الذي ابتداءً بعمارة المسجد، وكان داود أراد أن يبنيه ، فأوحى الله إليه أن هذا بيت مقدس ، وإنك قد صبغت يدك في الدماء فلست بانيه ، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء فلما ملك سليمان بناه .

ثم إن داود توفي وكان له جارية تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم إلى عبادته فأغلقها ليلة فرأت في الدار رجلاً فقالت مَنْ أدخلك الدار ، فقال : أنا الذي م دخل على الملوك بغير إذن فسمع داود قوله فقال : أنت ملك الموت : قال نعم . قال : فَهَلَّا أُرْسِلْتَ إِلَيَّ لِأَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ . قال : قد أرسلت إليك كثيراً . قال : من كان رسولك ؟ قال : أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك ؟ قال : ماتوا . قال : فهم كانوا رسلي إليك ! لأنك تموت كما ماتوا . ثم قبضه .

فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولداً فورثه سليمان دونهم .

وكان عمر داود لما توفي مائة سنة صح ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت مدة ملكه أربعين سنة .

(1) حاشا لله أن يفعل نبي الله سليمان ذلك .

ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام

لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان على بني إسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة . وسأل الله أن يؤتیه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب له ، وسخر له الأنس والجن والشياطين والطير والريح فكان إذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الأنس والجن حتى يجلس .

وقيل : إنما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه ، وأعادته الله سبحانه إليه على ما نذكره .

وكان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض ، وكان أبوه يستشيريه في حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك ما قصه الله في كتابه في قوله : {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ} (1) الآية وكان خبره : أن غنماً دخلت كرمًا(2) فأكلت عناقيده وأفسدته ، فقض داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان أو غير ذلك : أن يسلم الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها إلى أن يعود كرمه الى حاله ، ثم يأخذ كرمه ، ويدفع الغنم إلى صاحبها فامضى داود قوله ، وقال الله تعالى : {فَقَهَمَتَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلِيمًا} (3).

قال بعض العلماء : في هذا دليل على أن كل مجتهد في الأحكام الفرعية مصيب ، فإن داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان فقال له الله

(2) الكزّم: شجر العنب.

(3) الأنبياء: 79.

تعالى : {وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}.

وكان سليمان يأكل مِنْ كَسْبِ يده ، وكان كثير الغزو ، وكان إذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون إليه ، ثم أمر الريح فحملته فسارت في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك . وكان له ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية ، وأعطاه الله أنه لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح إليه فيعلم ما يقول .

ذكر ما جرى له مع بلقيس

نذكر أولاً ما قيل في نَسَبِهَا وَمُلْكِهَا ثم ما جرى له معها فنقول : قد اختلف العلماء في اسم آباءها فقيل : إنها هي بلقمة ابنة أنيشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل : ير بلقمة ابنة الهدهاد واسمه أنيشرح بن تبع ذي الادغار بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش ، وقيل : في نسبها غير ذلك ، ولا حاجة الى ذكره . وقد اختلف الناس في التبابعة (1) وتقديم بعضهم على بعض والزيادة في

عددهم والنقصان اختلافاً لا يحصل الناظر فيه على طائل ، وكذا أيضاً اختلفوا في نسبها في اختلافاً كثيراً ، وقال كثير من الرواة إنّ أمها جنية ابنة ملك الجن ، واسمها رواحة بنت السكر ، وقيل : اسم أمها بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني ، وإنما نكح أبوها إلى الجن لأنه قال : ليس في الإنس لي كفوّة فخطب إلى الجن فزوجوه (2) . واختلفوا في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب اليهم فقيل : إنه كان لهجاً بالصيد فربما اصطاد الجن على صور

الطباء فيخلى عنهن ، فظهر له ملك الجن وَشَكَرَهُ ، واتخذه
صديقاً فخطب ابنته فأنكحه علن أن يعطيه ساحل البحر ما
بين يَبْرين (3) إلى

(1) التبابعة جمع تُبع وهو لقب كل من حكم اليمن قديماً .

(2) هذه خرافة بلا شك وسيصرح المصنف بذلك آخر

القصة .

(3) موضع بأعلى بلاد سعد من اليمن ، وقيل من أصقاع

الْبَحْرين وهو المطلوب ، وتوجد بيرين قرية من قرى خَلْب

قرية من أعزاز .

عَدَن ، وقيل : إِنَّ أباهَا خرج يوماً متصيِّداً فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وَحَمَلَ ا البيضاء وصب عليها ماءً فأفاقت فأطلقها وعاد إلى داره وجلس منفرداً فإذا معه شاب جميل فذعر منه ، فقال له : لا تخف أنا الحية التي أنجيتني ، والأسود الذي قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من أهل بيتي ، وعرض عليه المال وعلم الطب فقال : أما المال فلا حاجة لي به وأما الطب فهو قبيح بالملك ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها فزوجه على شرط أن لا يغير عليها شيئاً عمله ومتى غير فارقته ، فأجابه إلى ذلك ، فَحَمَلَتْ منه فولدت له غلاماً فألقته في النار فجزع لذلك وسكت للشرط ، ثم حملت منه فولدت جارية فألقتها إلى كلبة فأخذتها ، فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ، ثم إنه عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار إليه ليقاتله وهي معه فانتهى إلى مفازة ، فلما توسطها رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب وإذا الماء يصب من القرب والمزاود فأيقنوا بالهلاك ، وعلموا أنه من فعال الجن عن أمر زوجته فضاقت ذرعاً عن حمل ذلك فأتاها وجلس وأوماً إلى الأرض وقال : يا أرض : صبرت لك على إحراق ابني وإطعام الكلبة ابنتي ثم أنت الآن قد فجعتينا بالزاد والماء وقد أشرفنا على الهلاك .

فقالَت المرأة : لو صبرت لكان خيراً لك وسأخبرك : إِنَّ عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الأزواد والمياه ليقتلك وأصحابك قَمُرٌ وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد فأمره فامتنع فقتله ، ودلتهم على الماء والميرة من

قريب ، وقالت : أما ابنك فدفعته إلى حاضنة تربيته وقد مات
وأما ابنتك فهي باقية وإذا بجويرية قد خرجت من الأرض
وهي بلقيس وفارقت امرأته وسار إلى عَدُوّه فظفر به ، وقيل
: في سبب نكاحه إليهم غير ذلك .

والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة .

وأما ملكها اليمن ، فقيل : إن أباهَا قَوَّضَ إليها المُلْكُ ،
فملكته بعده ،

وقيل : بل مات عن غير وصية بالملك لأحد ، فأقام الناس
ابن أخ له ، وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً لا يبلغه عن بنت قَيْلِ ()
(1) : ولا ملك ذات جمال إلا أحضرها وفضحها حتى

(1) بفتح فسكون (قيل) ويفتح فتشديد المثناة
المكسورة (قِيلَ) ، هومن ملوك جَمِيرٍ مَن كان دون الملك
الأعلى يقول ما شاء فينفذ ، وهو كالوزير في الإسلام كما في
فقه اللغة .

انتهى إلى بلقيس بنت عمه . فأراد ذلك منها فوعده أن يحضر عندها إلى قصرها وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله إذا دخل عليها وانفرد بها فلما دخل إليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتهم فقالت : أما كان فيكم مَنْ يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ؟ ثم أرثهم إياه قتيلاً وقالت : اختاروا رجلاً تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك فَمَلَكُوها .

وقيل : إن أباهم لم يكن ملكاً وإنما كان وزير الملك وكان الملك خبيثاً قبيح السيرة يأخذ بنات الأقيال والأعيان والأشراف وأنها قتلتها فملكها الناس عليهم .

وكذلك أيضاً عظموا ملكها وكثرة جندها فقبل كان تحت يدها أربعمئة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل ، وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ، وكان لها اثنا عشر قائداً يقود كل قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل .

وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم قالوا : كان لها اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش في كل جيش سبعون ألف مبارز ليس فيهم إلا أبناء خمس وعشرين سنة .

وما أظن الساعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله. ولو عرف مبلغ العدد لاقصر عن إقدامه على هذا القول السخيف ، فإن أهل الأرض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساءؤهم هذا العدد ، فكيف أن يكونوا أبناء خمس وعشرين سنة؟ فياليت

شعري ! كم يكون غيرهم مس ليس من أسنانهم ؟ وكم تكون الرعية وأراب الجِرَف والفلاحة وغير ذلك ؟ وإنما الجند بعض أهل البلاد، وإن كان الحاصل من اليمن قد قل في زماننا فإنّ رقعة أرضه لم تصغر وهي لا تسع هذا العدد قياماً كل واحد إلى جنب الآخر.

ثم إنهم قالوا أنفقت على كوّة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلاثمائة ألف أوقية من الذهب ، وقالوا : غير ذلك ، وذكروا مِنْ أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها فلا نطول بذكره .

وقد تواطؤا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال ، واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم . وإنما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به عليه

فينتهي إلى الحق .

وأما سبب مجيئها إلى سليمان ط سلامها ، فإنه طَلَبَ الهدهد فلم يره . وإنما طلبه لأن الهدهد يرى الماء من تحت الأرض ، فيعلم هل في تلك الأرض ماء أم لا ؟ وهل هو قريب أم بعيد؟ فبينما سليمان في بعض مغازبه إذ احتاج إلى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعده ، فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره .

وقيل بل نزلت الشمس الى سليمان ، فنظر ليرى من أين نزلت ؟ لان الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغاً ، فقال : { لِأَغْذِبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (1) . وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستاناً لها خلف قصرها فمال الى الخصرة . فرأى فيه هدهداً . فقال له : أين أنت عن سليمان وما تصنع ههنا ؟ فقال له : وَمَنْ سُلَيْمَانُ ؟ فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره ، فعجب من ذلك فقال له هدهد سليمان : وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة { وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ } (2) وجعلوا الشكر لله أن سجدوا للشمس من دونه ، وكان عرشها سريراً من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ ، ثم إن الهدهد عاد إلى سليمان فأخبره بعددّه في تأخيره ، فقال له : أَذْهَبُ بِكِتَابِي هَذَا ، قَالَ لَهُ إِلَيْهَا ؛ فَوَافَاها وَهِيَ فِي قَصْرِها ، فَأَلْقَاهُ فِي حِجْرِها ، فَأَشْدَتْهُ وَقَرَأَتْهُ وَأَحْضَرَتْ قَوْمَهَا ، وَقَالَتْ : { إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ * قَالَتْ

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشْهَدُونَ * قَالُوا : تَخُنْ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ * وَالْأَمْرُ
إِلَيْكَ قَانِظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ { (3) } .

قالت : { إني مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ } (4) فإن قبلها فهو من
ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى ، وإن لم يقبلها ، فهو نبي
من الله .

(1) النمل: 21 .

(2) النمل: 23 .

(3) النمل: 29 : 33 .

(4) النمل: 35 .

فلما جاءت الهدية إلى سليمان قال للرسول : { أئْمَدُونِي بِمَا لِي قَمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ } إلى قوله { وَهُمْ صَاغِرُونَ } (1) فلما رجع الرسول إليها سارت إليه لا وأخذت معها الأقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه فلما قاربت وصارت منه علي نحو فرسخ قال لأصحابه : { أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ : أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ } (2) يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقصد فيه بيتك للنداء ، قال سليمان أريد أسرع من ذلك ، { فَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ } - وهو آصف بن برخيا - وكان يعرف اسم الله الأعظم : { أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ

يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ } (3)، وقال له : انظر الى السماء وأدم النظر فلا ترد طرفك حتى لم أحضره عندك وسجد ودعا ، فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره ، فقال : { هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ } (4) إذ أتاني به قبل أن يرتد إلي طرفي { أم أكفر } إذ جعل تحت يدي من لم هو أقدر مني على إحضاره فلما جاءت قيل : { أَهَكَدَا عَرْشُكَ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ } (5) ولقد تركته في حصون وعند جنود تحفظه فكيف جاء إلى ههنا؟

فقال سليمان للشياطين : ابنوا لي صرحاً تدخل علي فيه بلقيس . فقال

بعضهم : إن سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا ننفك من العبودية أبداً وكانت امرأة شعراء الساقين (6) ، فقال الشياطين : ابنوا لي بنياناً

يرى ذلك منها فلا يتزوجها فبنوا له صرحاً من قوارير خضر ،
وجعلوا له طوابق من قوارير بيض فبقي كأنه الماء وجعلوا
تحت الطوابق صور دواب البحر من السمك وغيره ، وقعد
سليمان على كرسي ، ثم أمر فأدخلت بلقيس عليه ، فلما
أرادت أن تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة
ماء، فكشفت عن ساقها لتدخل ؛ فلما رآها سليمان

(1) النمل: 36 : 37 .

(2) النمل: 38 : 39 .

(3) النمل: 39 .

(4) النمل: 40 .

(5) النمل: 42 .

(6) هذا ضلال وافتراء باطل .

صرف نظره عنها(1) ، { وَقَالَ : إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ } (2) فقالت : { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (3) فاستشار سليمان في شيء يزيل الشعر ولا يضر الجسد، فعلم له الشياطين الثَّوْرَةَ (4) فهي أول ما عملت النورة .

ونكحها سليمان وأحبها حباً شديداً ، وردها إلى ملكها باليمن ، فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام . وقيل : إنه أمرها أن تنكح رجلاً من قومها فامتنعت وأنفت من ذلك فقال : لا يكون في الإسلام إلا ذلك . فقالت : إن كان ولا بد من ذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان ، فزوجه إياها ، ثم ردها إلى اليمن ، وسلط زوجها ذا تبع على الفلك ، وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذو تبع ، فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلخين ومراوخ ، وفليون ، وهنيدة وغيرها ، فلما مات سليمان لم يطيعوا ذا تبع ، وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان .

وقيل بل بقيا . وقيل : إن بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وأنه دفنها بتدمر وأخفى قبرها .

(1) هذا باطل مردود ، وإنما اراد عليه السلام أن يُريها معجزة تدل على نبوته فأراها ذلك الصرح وقد بلغ من قوة المعجزة أن ظنت ملكة سبا أن ما تحتها ماء فكشفت عن ساقها اتقاء للماء .

قال الحافظ ابن كثير (6/206) بعد أن ساق هذا الافتراء

:

" قلت : بل هو منكر غريب جداً ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب عن ابن عباس ، والله أعلم ، والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقة عن أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم كراويات كعب ورهب - سامحهما الله تعالى - فيما نقلنا إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد والعجائب مما كان وما لم يكن ، ومما حُرف وبُذِل وتُسخ . وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه ، وأنفع ، وأوضح ، وأبلغ - والله الحمد والمنة .

والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصرًا عظيمًا منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ما أتاه الله - تعالى - وجلالة ما هو فيه ، وتبصرت في أمره انقادت لامر الله وعَرَفت أنه نبي كريم ، ومَلِكٌ عظيم ، فأسلمت لِمته عز وجل ، وقالت : { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } أي : بما سَلَفَ من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله ، (وأسلمت يع سليمان لله رب العالمين) ، أي : متابعة لدين سليمان في عابده لله وحده لا شريك له الذي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا . أهـ .

(2) ، (3) النمل : 44 .

(4) النورَة : أخلاط من أملاح الكلسيوم والباريوم

تُسْتَعْمَل لإزالة الشَّعْر .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها

وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعوده إليه (1)

قيل : سمع سليمان بملك في جزيرة من جزائر البحر
وشدة ملكه وعظم شأنه ،
(1) وهذه القصة أيضاً من الأباطيل الإسرائيلية التي
اخترعها اليهود فشوهوا بها الأنبياء - عليهم السلام - ونحن
من كل ذلك براء .

قال فضيلة الشيخ أبو شهبه (ص 381/380) :

ونحن لا نشك في أن هذه الخرافات من أكاذيب بني
إسرائيل وأباطيلهم وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة
أهل الكتاب ، وليس أدل على هذا مما ذكره السيوطي في
(الدر المنثور 5 / 309 : 311) قال :

وأخرج عبد الرزاق ، وابن المنذر عن ابن عباس - رضي
الله عنهما - قال : أربع آيات في كتاب الله لم أدر ما هي
حتى سألت عنهن كعب الأحمق - رضي الله عنه
(فذكرهن وذكر منهن :) وسألت عن قوله تعالى : { وألقينا
على كرسيه جسداً ثم أناب } قال : الشيطان أخذ خاتم
سليمان الذي فيه ملكه (. . . الخ) (انتهى) .

قال القاضي عياض في الشفا : " ولا يصح ما نقله
الإخباريون من تشبه الشيطان به وتسلمه على . ملكه
ونصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا
يسلطون على مثل هذا ، وقد عصم الأنبياء من مثله .

وقال الحافظ ابن كثير 6/206 : 207 : لم

" وهذه كلها من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ما قال ابن أبي
حاتم (فذكرها ثم قال :) .

وإسناده الى ابن عباس قَوِي ولكن الظاهر أنه إنما تَلَقَاه
ابن عباس - رضي الله عنهما - إِنْ صَح عنه مِنْ أهل الكتاب
وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه الصلاة
والسلام - فالظاهر أنهم يكذبون عليه .
ولهذا كان في هذا السياق منكَرَات من أشدّها ذِكر النساء
أ هـ .

قال الشيخ أبو شهبة صلى الله عليه وسلم 382 :
والحق أن نسيح القصة مهلهل عليه أثر الصنعة والاختلاق
ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا .
* وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه
السلام فأقبي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا ؟
* وكيف يسلط الله الشيطان على نساء نبيه سليمان وهو
أكرم على الله مِنْ ذلك .

* وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان
بدوامه ويزولان بزواله ! وما عَهْدُتا في التاريخ البشري شيئاً
من ذلك .

* وإذا كان خاتم سليمان - عليه السلام - بهذه المثابة
فكيف ينفل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب
السماوية ولم يذكره بكلمة ؟

* وهل غير الله خَلْقة سليمان في لحظة حتى أنكرته
أعرف الناس به وهي زوجته " جرادة " !!! أ هـ .

أجعل نبرة سليمان - عليه السلام - معلقة في خاتم
وعصى وغير ذلك ، وحاشا للنبوة أن تكون من التفاهة بهذه
الصورة المؤلمة .

* وكيف تمكّن الشيطان من الدخول على نساء سليمان
وإنّ الطير تعكف عليه فكان على المغفلين الذين يعتقدون
بذلك أن يُعُدُّوا الخاتم نفسه من الأنبياء والرسل لأنه أجلُّ قَدْرًا
من سليمان إذ أن سلطته به وبفَقْدِهِ =

وأنه لم يكن للناس إليه سبيل ، فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم ما فيها وغنم بنتاً للملك لم ير الناس مثلها حسناً وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت علن قلة رغبة فيه وأحبها حباً شديداً وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكي فقال لها : وبحك ما هذا الحزن والدمع الذي لا يرقأ؟

قالت : إني أذكر أبي وملكه وما أصابه فيحزنني ذلك . قال : فقد أبدلك الله ملكاً خيراً من ملكه وهداك إلى الإسلام : قالت : إنه كذلك لكنني اذا ذكرته أصابني ما ترى فلو أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشية لرجوت أن يُذَهَبَ ذلك حزني .

فأمر الشياطين ، فعملوا لها مثل صورته لا ينكر منها شيئاً ، وألبستها ثياباً مثل ثياب أبيها ، وكانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في جواربها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية ويرحن ، فتفعل مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشيء من أمرها أربعين صباحاً .

وبالغ الخبر آصف بن برخيا وكان صديقاً وكان لا يرد من منازل سليمان أي وقت أراد من لعل أو نهار سواء كان سليمان حاضراً أو غائباً، فأتاه ، فقال : يا نبي لله ! قد كبر سني ، ودق عظمي ، وقد حان مني ذهاب بصري ، وقد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه أنبياء الله وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعَلِّمُ الناس بعض ما يجهلون قال : افعل .

فجمع له سليمان الناس ، فقام آصف خطيباً فيهم فذكر من مضي من الأنبياء وأثق عليهم حتى انتهى الى سليمان

فقال : ما كان أحلمك في صغرك وأبعدك عن كل ما يكره في صغرك ؟ ثم انصرف فملىء سليمان غضباً فأرسل إليه وقال له : يا آصف لما ذكرتني جعلت تشني علي في صغري وسكت عما سرى ذلك فما الذي أحدثت في آخر أمري ؟

= أنكرنه خادمته وقومه ، بل لا مانع أن يكون الخاتم إليها خالقاً لأن له من القدرة ما صير الشيطان رسولاً تحف به الإنس والجن والطيور عندما استطاع أن يضعه في إصبعه . (منيرية) .

* وهل يُعقل أنهم بقوا أربعين يوماً لا يقرأون التوراة وأقل ما فيها خمسة سبوت ! (منيرية)
(وانظر المزيد في دحض هذه الفرية في تفسير الفخر الرازي) سبحانك هذا بهتان عظيم .

قال : إن غير الله ليعبد في دارك أربعين يوماً في هوى امرأة قال : { إنا لله وإنا إليه راجعون } لقد علمت أنك ما قلت إلا عن شيء بلغك .

ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المرأة وجواريتها .
ثم أمر بثياب الطهارة فأتي بها - وهي ثياب تغزلها الأبقار اللائي لم يحضن ولم تمسها امرأة ذات دم فلبسها وخرج إلى الصحراء وقَرَسَ الرماد ثم أقبل تائباً الى الله ، وتمعك في الرماد بثيابه تذلاً لله تعالى وتضرعاً ، وبكى واستغفر يومه ذلك ، ثم عاد إلى داره وكانت أم ولد له لا يثق إلا بها يسلم خاتمه إليها وكان لا ينزعه إلا عند دخول الخلاء وإذا أراد أن يصيب امرأة يسلمه إليها حتى يتطهر وكان ملكه في خاتمه ، فدخل في بعض تلك الأيام الخلاء وسلم خاتمه إليها ، فأتاها شيطان اسمه صخر الجني في صورة سلمان ، فأخذ الخاتم وخرج إلى كرسي سليمان وهو في صورة سليمان ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الأنس والجن والطير ، وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته ، فقال : خاتمي فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان . قالت : كذبت لست بسليمان قد جاء سليمان وأخذ خاتمه مني وهو جالس على سريره ، فعرف سليمان خطيئته ، فخرج وجعل يقول لبني إسرائيل : أنا سليمان فيحثون عليه التراب (1).

فلما رأى ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم سمكتين يبيع إحداهما بخبز ويأكل الأخرى فبقي كذلك أربعين يوماً . ثم إن اصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان ، فقال

آصف : يا بني إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان
ما رأيتم ؟ قالوا : نعم قال : أمهلوني حتى أدخل على نساءه
وأسألهن هل أنكرن ما أنكرنا منه .

فدخل عليهن وسألهن فذكرن أشد مما عنده ، فقال : إنا
لله إنا إليه ارجعون ، إن هذا لهو البلاء المبين .

ثم خرج إلى بني إسرائيل فأخبرهم فلما رأى الشيطان
أنهم قد علموا به طار من مجلسه فمر بالبحر، فألقى الخاتم
فيه ، فبلعته سمكة واصطادها صياد وحمل له

(١) حاشا لنبي من أنبياء الله أن يفعل ذلك .

سليمان يومه ذلك فأعطاه سمكتين تلك السمكة إحداهما ، فأخذها فشققها ليصلحها ويأكلها ، فرأى خاتمه في جوفها فأخذه ، وجعله في أصبعه ، وخرّ لله ساجداً وعكفت عليه الأنس والجن والطير ، وأقبل عليه الناس ، ورجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ، وبث الشياطين في إحضار صخر الذي أخذ الخاتم ، فأحضره فنقب له صخرة ، وجعله فيها ، وسد النقب بالحديد والرصاص وألقاه في البحر ، وكان مقامه في الملك أربعين يوماً بمقدار عبادة الصنم في دار سليمان .

وقيل : كان السبب في ذهاب ملكه أن امرأة له كانت أبرّ نسائه عنده تسمى " جرادة " ولا يأتين على خاتمه سواها ، فقالت له إن أخي بينه وبين فلان حكومة وأنا أحب أن تقضي له . فقال : أفعل ، ولم يفعل فابتلي وأعطاه خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فأخذه ، وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم ، فقالت : ألم تأخذه ؟ قال لا . وخرج من مكانه تائهاً وبقي الشيطان أربعين يوماً يحكم بين الناس ففطنوا له وأحدقوا به ونشروا التوراة قرأوها فطار من بين أيديهم وألقى الخاتم في البحر فابتلعه حوت ، ثم إن سليمان قصد صياداً وهو جائع فاستطعمه وقال : أنا سليمان فكذبه وضربه فشجه ، فجعل يغسل الدم ، فلام الصيادون صاحبهم وأعطوه سمكتين إحداهما التي ابتلعت الخاتم فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله إليه ملكه ، فاعتذروا إليه ، فقال لا أحمدكم على عذرکم ولا ألومکم علن ما كان منكم ، وسخر الله له الجن والشياطين والريح ولم يكن سخرها له قبل ذلك

وهو أشبه بظاهر القرآن وهو قوله تعالى : {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ } (1) .
وقيل : في سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم .

ذكر وفاة سليمان

لما رَدَّ اللهُ إِلَيَّ سُلَيْمَانَ الْمَلِكُ لَبِثَ فِيهِ مَطَاعًا وَالْجَنُّ تَعْمَلُ لَهُ {مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِجَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ } (2) وغير ذلك ، ويعذب من
(1) ص: 37 .
(2) سبأ: 13 .

الشياطين من شاء ، ويطلب من شاء ، حتى إذا دنا أجله ، وكان عادته إذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول : ما اسمك ؟ فتقول : كذا . فيقول : لأي شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو قد صَنَن ذات يوم إِدُ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ فقالت : الخرنوبة . فقال لها : لأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت - يعني بيت المقدس . فقال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حن ، أنت التي علن وجهك هلاكي وخراب البيت ، وَقَلَعَهَا .

ثم قال : اللهم اعم عن الجن موتي حتى يعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب .

وكان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي توفي فيها فبينما هو قائم يصلي متوكئاً على عصاه أدركه أجله ، فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم في ذلك يعملون خوفاً منه ، فأكلت الأرضة عصاه ، فانكسرت فسقط فعلموا أنه قد مات وعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب ولو عملوا الغيب {مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (1) ومقاساة الأعمال الشاقة .

ولما سقط أراد بنو إسرائيل أن يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا يوماً وليلة فأكلت منها. فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا في سنة .

ثم إنّ الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب لأتيناك بأطيب الشراب ، ولكننا سننقل لك الماء والطين فهم ينقلون إليها حيث كانت ألم تر إلى الطين يكون في وسط الخشبة ؟ فهو ما ينقلونه لها .

قيل : إن الجن والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب إلى بعض أولي التجربة منهم ، وقيل كان إبليس - فقال لهم : أستم تنصرفون بأحمال وتعودون بغير أحمال ؟ قالوا؛ بلى. قال : فلکم في كل ذلك راحة، فحملت الريح الكلام فألقته في أذن سليمان ، فأمر الموكلين بهم أنهم إذا جاؤوا بالأحمال والآلات التي يبني بها إلى موضع البناء والعمل يحملهم من هناك في عودهم ما يلقونه من المواضع التي فيها

(1) سبأ: 14 .

الأعمال ليكون أشق عليهم وأسرع في العمل ، فاجتازوا
بذلك الذي شكوا إليه حالهم فأعلموه حالهم ، فقال لهم
انتظروا الفرغ فإنّ الأمور إذا تناهت تغيرت فلم تطل مدة
سليمان بعد ذلك حتى مات . وكان مدة عمره ثلاثاً وخمسين
سنة وملكه أربعين سنة .

ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباز

لما توفي كيقباز ملك ابنه كيكاووس بن كينية بن كيقباز ،
فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد
المجاورة له ، وكان يسكن بنواحي بلخ وولد له ولد سماه
سياوخش وضمه إلى رستم الشديد بن داستان بن نريمان
بن جودنك بن كرشاسب وكان أصهبذ سجستان وما يليها
وجعله عنده ليربيه فأحسن تربيته ، وعلمه العلوم لم
والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك إليه ، فلما كمل ما أراد
حمله إلى أبيه فلما رآه ، سُر به صورة ومعنى ، وكان أبوه
كيكاووس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك ، وقيل : إنها
ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته إلى نفسها فامتنع
فسعت به إلى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم
الشديد أن يخاطب أباه لينفذ إلى محاربة افراسياب بسبب
منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه ليأمن
كيد امرأته ففعل ذلك رستم ، فسيره أبوه وضم إليه جيشاً
كثيفاً ، فسار إلى بلاد الترك للقاء افراسياب ، فلما سار إلى
تلك الناحية جرى بينهما صلح ، فكتب سياوخش إلى أبيه
يعرفه ما جرى بينه وبين افراسياب من الصلح ، فكتب إليه
والده يأمره بمناهضة افراسياب ومحاربه وفسخ الصلح ،
فاستقبح سياوخش الغدر وأنف منه فلم ينفذ ما أمره به ،
ورأى أن ذلك من فعل زوجة والده ليقبح فعله ، فراسل
افراسياب فيم الأمان لنفسه لينتقل إليه ، فأجابه افراسياب
إلى ذلك ، وكان السفير في ذلك قيران بن وكسغان ، ودخل
سياوخش إلى بلاد الترك ، فأكرمه افراسياب ، وأنزله وأجرى

عليه ، وزوجه بنتاً له يقال لها وسفافرید وهي أم كیخسرو
فظهر له من أدب سیاوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما
خاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعي ابني
افراسياب وأخيه كندو حسداً منهم لسیاوخش فأمرهم
افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به ؛ وكانت زوجته ابنة
افراسياب حاملة منه بابنه كیخسرو فطلبوا الحيلة في
اسقاط ما في بطنها فلم يسقط . فانكر قيران الذي كان

أمان سياوخش على لده قتله وحذر عاقبته .والأخذ بثأره من والده كيكاووس ومن رستم ، وأخذ زوجة سياوخش إليه لتضع ما في بطنها ويقتله ، فلما وضعت رق قيران لها وللمولود ولم يقتله وستر أمره حتى بلغ ، فسير كيكاووس الى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه إليه .

وحين بلغ خبر قتله الى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزناً ، وهو أول من لبسه ، ودخل على كيكاووس ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : إن هذا اليوم يوم ظلام وسواد.

ثم ان كيكاووس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس اصبهذ اصبهان لمحاربة افراسياب ، فدخلوا بلاد الترك فقتلا وأسرا ، وأثخنا فيها وجرى لهما مع افراسياب حروب شديدة. قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش .

وزعمت الفرس : أن الشياطين كانت مسخرة له ، وأنها بنت له مدينة طولها في ، زعمهم ثلاثمائة فرسخ ، وبنوا عليها سوراً من صفر، وسوراً من شَبَه (1) وسوراً من فضة ، وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والأرض ، وإن كيكاووس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم إن الله أرسل إلى المدينة من يخربها فعجزت الشياطين عن المنع عنها، فقتل كيكاووس جماعة من رؤسائهم ، وقال بعض العلماء بأخبار المتقدمين ؛ إنما سخر له فعل الشياطين بأمر سليمان بن داود، وكان مظفراً لا يناوئه أحد من الملوك إلا ظهر عليه ، فلم يزل كذلك حتى حدثته نفسه بالصعود إلى السماء، فسار من خراسان إلى بابل وأعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو

ومن معه حتى بلغوا السحاب ، ثم سلبهم الله تلك القوة
فسقطوا وهلكوا وأفلت بنفسه وأحدث يومئذ .
وهذا جميعه من أكاذيب الفرس الباردة .
ثم إن كيكاووس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت
الخوارج عليه وصاروا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى .

(1) الشبه: النحاس الأصفر:

ثم غزا بلاد اليمن ، وملكها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش فلما ورد اليمن خرج إليه ذو الأذعار، وكان قد أصابه الفالج فلم يكن يغزو فلما وطىء كيكاووس ، بلاده خرج إليه بنفسه وعساكره ، وظفر بكيكاووس ، فأسره ؛ واستباح عسكره وحبسه في بئر وأطبق عليه ، فسار رستم من سجستان إلى اليمن وأخرج كيكاووس وأخذه وأراد ذو الأذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال ، ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كيكاووس والعود إلى بلاد الفرس فأخذه وأعادته إلى ملكه . فأقطعه كيكاووس سجستان وزابلستان وهي أعمال غزنة وأزال عنه اسم العبودية ثم توفي كيكاووس وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس

لما مات كيكاووس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس وأمه وسفافرید ابنة افراسياب ملك الترك ؛ فلما ملك كتب إلى الأصبهين جميعهم أن يأتوا بعساكرهم جميعاً ، فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفاً مع طوس ، وأمره بدخول بلاد الترك ، وأن لا يمر بقرية ولا مدينة لهم إلا قتل كل من فيها إلا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فرود بن سياوخش ، كان أبوه قد تزوج أمه في بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها ، فجرى بينه وبين فرود حرب قتل فيها فرود . فبلغ خبره كيخسرو . فعظم عليه وكتب إلى عم له كان مع طوس يأمره بالقبض على طوس وإرساله مقيداً والقيام بأمر الجيش . ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسير افراسياب العساكر إليه فاقتلوا قتالاً

شديداً كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤوس الجبال
وعادوا إلى كيخسرو فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك .
فأمر بجمع العساكر جميعها وان لا يتخلف أحد . فلما اجتمعوا
أعلمهم أنه يريد قصد بلاد الترك من أربعة وجوه . فسير
جودرز في أعظم العساكر وأمره بالدخول إلى بلاد الترك
مما يلي بلخ وأعطاه درفش كايان وهو العلم الأكبر الذي
لهم وكانوا لا يرسلونه إلا مع بعض أولاد الملوك لأمر عظيم ،
وسير عسكرياً في آخر من ناحية الصين ؛ وسير عسكرياً آخر
مما يلي الخزر، وعسكرياً آخر بين هذين أ العسكريين فدخلت
العساكر بلاد الترك من كل جهاتها وأخربتها لا سيما جودرز
فإنه قتل وأخرب وسبى وتبعه كيخسرو بنفسه في طريقه
فوصل إليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب واثن
فيهم ، ورآه قد قتل خمسمائة ألف ونيفاً وستين ألفاً ، وأسر
ثلاثين ألفاً

وغنم مالا يحد ولا يحص وعرض عليه من قتل من أهل
افراسياب وطراخته فعظم جودرز عنده وشكره وأقطعه
أصبهان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة
من تلك الوجوه الى الترك بما قتلوا وغنموا وأخربوا وأنهم
هزموا لافراسياب عسكرياً بعد عسكر فكتب اليهم أن يجدوا
في محاربتهم ويوافقوه بموضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب
قتل من قتل من طراخته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه
فسقط في يديه ولم يكن بقي عنده من أولاده إلا ولده شيده
فوجهه في جيش نحو كيخسرو فسار إليه واقتتلوا

قتالاً شديداً أربعة أيام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس
يقتلونهم ويأسرون وأدركوا ابن افراسياب فقتلوه وسمع
افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فأقبل فيمن عنده من العساكر
، فلقى كيخسرو فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله ، واشتد
الأمر فانهزم افراسياب وكثر القتل في الترك فقتل منهم
مائة الف ، وجد كيخسرو في طلب افراسياب ولم يزل يهرب
من بلد إلى بلد حتى بلغ أذربيجان ، فاستتر ؛ وظفر به وأتى
به إلى كيخسرو ، فلما حضر عنده سأله عن غدره بأبيه فلم
يكن له حجة ولا عذر ، فأمر بقتله فذبح كما ذبح سياوخش ،
ثم انصرف من أذربيجان مظفراً منصوراً فرحاً .

فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده أخوه كي سواسف ،
فلما توفي ملك بعده ابنه جرزاسف وكان جباراً عاتياً .

فلما فرغ كيخسرو من الأخذ بثأر أبيه واستقر في ملكه
زهده في الدنيا وترك الملك وتنسك ، واجتهد أهله وأصحابه به
ليلازم الملك فلم يفعل ، فقالوا له : فاعهد إلى من يقوم

بالمك بعدك فعهد إلى لهراسب وفارقهم كىخسرو وغب
عنهم فلا يدري ما كان منه ولا أين مات ، وبعض يقول غير
ذلك وكان ملكه ستين سنة وملك بعده لهراسب .

ذكر أمر بني إسرائيل بعد سليمان

قيل : ثم مَلَك بعد سليمان عنى بني إسرائيل ابنه رجبم
بن سليمان ، وكان ملكه سبع عشرة سنة .
ثم افترقت ممالك بني إسرائيل بعد رجبم فملك أفيا بن
رجبم سبط يهوذا وبنيامين دون سائر الأسباط ، وذلك أن
سائر الأسباط مَلَّكوا عليهم يوربعم بن بايعا عبد سليمان
بسبب القربان الذي كانت جرادة زوجة سليمان فيما زعموا
قربته في داره

للصنم فتوعده الله تعالى أن ينزع بعض الملك عن ولده فكان ملك أفيا بن رجبعم ثلاث سنين . ثم مَلَك آسا بن أفيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملكهما إحدى وأربعين سنة ، وكان رجلاً صالحاً، وكان أعرج .

ذكر محاربة آسا بن أفيا ورزح الهندي

قيل كان آسا بن أفيا رجلاً صالحاً، وكان أبوه قد عَبَدَ الأصنام ودعا الناس إلى عبادتها فلما ملك ابنه آسا أمر منادياً فنادى : أَلَا إِنَّ الْكُفْرَ قَدْ مَاتَ وَأَهْلُهُ وَعَاشَ الْإِيمَانَ وَأَهْلُهُ فليس كافر في بني إسرائيل يطلع رأسه بكفر الا قتلته ؛ فإن الطوفان لم يغرق الدنيا وأهلها ، ولم يخسف بالقرى ، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلى الأرض إلا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته ، وشدد في ذلك ، فأتى بعضهم مس كان يعبد الأصنام ويعمل بالمعاصي إلى أم آسا الملك وكانت تعبد الأصنام فشكو إليها فجاءت إليه وَتَهْتُهُ عما كان يفعله وبالغت في زجره فلم يصغ إلى قولها بل تهددها على عبادة الأصنام وأظهر البراءة منها، فحينئذ أيس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا إلى الهند، وكان بالهند ملك يقال له : " رزح " ، وكان جباراً عاتياً عظيماً -السلطان قد أطاعه أكثر البلاد ؛ وكان يدعو الناس إلى عبادته ، فوصل إليه أولئك النفر من بني إسرائيل وشكوا إليه ملكهم ؛ ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها وأطمعوه فيها، فأرسل الجواسيس فأتوه بأخبارها فلما تيقن الخبر جَمَعَ العساكر وسار إلى الشام في البحر(1) وقال له بنو اسرائيل : ان لآسا صديقاً ينصره ويعينه قال : فأين آسا وصديقه من كثرة

عساكري وجنودي ؟ وبلغ خبره الى آسا فتضرع الى الله تعالى، وأظهر الضعف والعجز عن الهندي ، وسأل الله النصره عليه ، فاستجاب الله له وأراه في المنام أفي سأظهر من قدرتي في رزح الهندي وعساكره ما أكفيك شرهم وأغنمكم أموالهم حتى يعلم أعداؤك أنّ صديقك لا يطاق وليه ولا ينهزم جنده .

(1) سَفَرُ الْمَلِكِ الْهِنْدِيِّ إِلَى فِلَسْطِينَ لَا يُعْرَفُ فِي التَّارِيخِ الصَّحِيحِ وَلَا فِي كِتَابِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ آسَا وَبَعَثَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ وَفِي أَخْبَارِ الْأَيَّامِ الثَّانِي فِي الْإِصْحَاحِ 14 مَحَارِبَةَ آسَا لِرَازِحِ الْكُوشِيِّ وَكَانَ جَاءَ فِي أَلْفِ أَلْفِ وَهِيَ فِي نَظَرِهِ حِكَايَةُ خِرَافِيَةِ (مَنِيرِيَّةِ) .

ثم سار رزح حتى أرسى بالساحل (1) وسار إلى بيت المقدس ، فلما صار على مرحلتين منه فرّق عساكره فامتلأت منهم تلك الأرض وملأت قلوب بني إسرائيل رُعباً ، وبعث آسيا العيون فعادوا وأخبروه مِنْ كثرتهم بما لم يسمع بمثله ، وسمع الخبر بنو إسرائيل ، فصاحوا وبكوا، وودع بعضهم بعضاً وعزموا على أَنْ يخرجوا إلى رزح ويستسلموا إليه وينقادوا له ، فقال لهم ملكهم : إن ربي قد وعدني بالظفر ولا خلف لوعده فعادوا الدعاء والتضرع .

ففعّلوا ودعوا جميعهم وتضرعوا ، فزعموا أن الله أوحى إليه يا آسا أن الحبيب لا يسلم حبيبه وأنا الذي أكفيك عدوك فإنه لا يهون مَنْ توكل عليّ ولا يصف من تَقَوَّى بي وقد كنت تذكرني في الرخاء فلا أسلمك في الشدة، وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعدائي ، فاستبشر وأخبر بني إسرائيل ، فأما المؤمنون فاستبشروا ، وأما المنافقون فكذبوه .

وأمره الله بالخروج إلى رزح في عساكره فخرج في نفر يسير فوقفوا على رابية (2) من الأرض ينظرون إلى عساكره ؛ فلما رأهم رزح احتقرهم واستصغروهم وقال : إنما خرجت من بلادي وجمعت عساكري وأنفقت أموالي لهذه الطائفة ؛ ودعا النفر من بني إسرائيل الذين قصدوه والجواسيس الذين أرسلهم ليختبروا له ، وقال كذبتموني وأخبرتموني بكثرة بني إسرائيل حتى جمعت العساكر وفرقت أموالي ، ثم أمر بهم فقتلوا أو أرسل إلى آسا يقول له : أين صديقك الذي ينصرك ويخلصك من سطوتي ؟ فأجابه ! آسا يا شقي ! انك لا تعلم ما تقول أتريد أن تغالب الله

بقوتك أم تكاثره بقلبك وهو معي في موقفى هذا ولن يغلب
أحد كان الله معه وستعلم ما يحل بك فغضب رزح من قوله
وصف عساكره ، وخرج إلى قتال آسا، وأمر الرماة فرموهم
بالسهام ، فبعث الله من الملائكة مدداً لبني اسرائيل فاخذوا
السهام ، ورموا بها الهنود، فقتلت كل انسان منهم نشابته ،
فقتل جميع الرماة فضج بنو إسرائيل بالتسبيح والدعاء،
وتراءت الملائكة للهنود . فلما رآهم رزح ألقى الله الرعب
في قلبه وسقط في يده ونادى في عساكره يأمرهم بالحملة
عليهم ، ففعلوا فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح
وعبيده ونسائه ، فلما رأى ذلك ولن هارباً

(1) أى ساحل لفلسطين ترسو فيه سفن الهند !!!

(منيرة)

(2) الراية : ما ارتفع من الأرض .

وهو يقول قتلني صديق آسا ، فلما رآه آسا مدبراً قال :
اللهم لا إنك لن تهلكه استنفر جملينا نائبه وبلغ رزح ومن معه
إلى البحر فركبوا السفن ، فلما سارت بهم أرسل الله عليهم
الرياح فغرقتهم أجمعين .
* ثم ملك بعد آسا ابنه سافاط إلى أن ملك خمساً
وعشرين سنة .

* ثم ملكت عزليا بنت عمرم أخت أخزيا ، وكانت قتلت
أولاد ملوك بني اسرائيل ولم يبق منهم إلا يواش بن أخزيا
وهو ابن ابنها فإنه سَتَرَ عنها ثم قتلها يواش وأصحابه وكان
مَلَكَهَا سبع سنين .
* ثم ملك يواش أربعين سنة، ثم قتله أصحابه وهو الذي
قتل جدته .

* ثم ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ، ويقال له :غوزيا إلى
أن توفي اثنتين وخمسين سنة .
* ثم ملك يوثام بن عوزيا الى أن توفي ست عشرة سنة
.

* ثم ملك حزقيا بن أحاز إلى أن توفي فيقال : إنه صاحب
شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع إلى ربه فزاده ،
وأمر شعيا بإعلامه ذلك . وقيل : إن صاحب شعيا في هذه
القصة اسمه صدقيا على ما يرد ذكره .

ذكر شعيا والملك الذي معه من بني إسرائيل

ومسير سنحاريب إلى بني اسرائيل

قيل : كان الله تعالى قد أوحى إلى موسى ما ذكر في
القرآن {وَقَصَّيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي
الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا

عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ
وَعُدًّا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَا هُمْ بِأَمْوَالِ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ تَفِيرًا . إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنُكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ . فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَ مَرَّةٍ وَلِتَبَيَّرُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا .
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُذَّتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا } (١) . " فكثر في بني اسرائيل الأحداث
والذنوب وكان الله يتجاوز عنهم متعطفاً عليهم ،

(1) الاسراء 4 ، 8 .

وكان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم أن ملكاً منهم يقال له صديقاً (1) وكانت عادتهم إذا ملك عليهم رجل بعث الله إليه نبياً يرشده ويوحى إليه ما يريد ويم يكن لهم غير شريعة التوراة فلما ملك صدقياً بعث الله تعالى إليه شعياً، وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد عليه السلام (2) فلما قارب أن ينقضي ملكه عظمت الأحداث في بني اسرائيل فأرسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل في عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس ، وأحاط به ، وملك بني اسرائيل مريض في ساقه قرحة، فأتاه النبي شعياً، وقال له : إن الله يأمرك أن توصي وتعهّد فإنك ميت فأقبل الملك على الدعاء والتضرّج ، فاستجاب الله له فأوحى الله إلى شعياً أنه قد زاد في عمر الملك صدقياً خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب . فلما قال له ذلك زال عنه الألم وجاءته الصحة .

ثم إن الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكاً صاح بهم فماتوا غير ستة نفر منهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر في قول بعضهم ، فخرج صدقياً وبنو اسرائيل إلى معسكرهم ، فغنموا ما فيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه ، فأرسل الطلب في أثره فوجدوه ومعه أصحابه ؛ فأخذوهم وقيدوهم وحملوهم إليه فقال لسنحاريب : كيف رأيت صنع ربنا بك ؟

فقال : قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم فلم أسمع ذلك. فطاف بهم حول بيت المقدس ، ثم سجنهم . فأوحى الله إلى شعياً يأمر الملك بإطلاق سنحاريب ومَنْ معه فأطلقهم ،

فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم
وبعساكرهم ، وبقي بعد ذلك سبع سنين ثم مات .
وقد زعم بعض أهل الكتاب : أنّ بني اسرائيل سار إليهم
قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له : كفرو وكان
بختنصر ابن عمه وكاتبه ، وأنّ الله أرسل عليهم ريحاً
فأهلكت جيشه ، وأفلت هو وكاتبه ، وأنّ هذا البابلي قتله ابن
له ، وأنّ بختنصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذي قتله ، وان
سنحاريب سار بغد ذلك وكان مُلكه بنينوى (3) وغزا

(1) الذي في الاصحاح 29 من أخبار الأيام الثاني : أنه
حزقيا . (منيرية) .

(2) نراجع الإصحاحات 9 و 26 و 35 و 42 و 43 و 50 و
1 و 2 و 5 و 53 و 45 و 55 و 65 وكلها رموز وإشارات إلى
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم . (منيرية) .

(3) نينوى : مدينة على شاطئ دجلة الشرقي تسمى الآن
(الموصل العتيقة) .

مع ملك أَدْرِيَجَان (1) يومئذ بني اسرائيل ، فأوقع بهم ،
ثم اختلف سنحاريب وملك لم أدريجان وتحاربا حتى تفانا
عسكراهما فخرج بنو اسرائيل وغنموا ما معهم .

وقيل : كان ملك سنحاريب إلى أن توفي تسعاً وعشرين
سنة ، وكان ملك بني اسرائيل الذي حصره سنحاريب حزقيا ،
فلما توفي حزقيا ملك بعده ابنه منشا خمساً وخمسين سنة .
* ثم ملك بعده أمون إلى أن قتله أصحابه ثنتي عشرة
سنة .

* ثم ملك ابنه يوشيا - إلى أن قتله فرعون مصر الأجدع
إحدى وثلاثين سنة .

* ثم ملك بعده ابنه ياهو أحاز بن يوشيا فعزله فرعون
الأجدع واستعمل بعده يوياقيم بن ياهو أحاز ، ووظف عليه
خراجاً يحمله إليه ، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة .
* ثم ملك بعده ابنه يوياحين ، فغزاه بختنصر ، وأشخصه
إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه .

وملك بعده يقونيا ابن عمه وسماه صدقيا ، وخالفه فغزاه
وظفر به ، وحمله إلى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه ،
وخرّب بيت المقدس والهيكل ، وسبى بني إسرائيل ،
وحملهم إلى بابل فمكثوا إلى أن عادوا إليه على ما ذكره إن
شاء الله . وكان جميع ملك صدقيا إحدى عشرة سنة .

وقيل : إن شعيا أوحى الله إليه ليقوم في بني اسرائيل
يذكرهم بما يوحى الله على لسانه لما كثرت فيهم الأحداث
ففعل ، فَعَدُّوا عليه ليقتلوه ، فهرب منهم فلقيته شجرة
فانفلقت له ، فدخلها وأخذ الشيطان بهُذْب ثوبه وأراه بني

اسرائيل ، فوضوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى
قطعوه في وسطها.

وقيل في أسماء ملوكهم غير ذلك تركناه كراهة التطويل
ولعدم الثقة بصحة النقل به.

(1) أَذْرَبِيْجَانِ بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِ الْبَاءِ
الْمَوْحِدَةِ وَيَاءِ سَاكِنَةٍ وَجِيمٍ ، وَقَدْ فَتِحَ قَوْمُ الذَّالِ وَسَكَنُوا الرَّاءَ
وَمَدَّ آخَرُونَ الْهَمْزَةَ مَعَ ذَلِكَ (اذريجان) .

ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت

قد ذكرنا أنّ كيخسرو لما حضرته الوفاة عهد إلى ابن عمه لهراسب بن كيوخي بن كيكاووس فهو ابن ابن كيكاووس ، فلما ملك اتخذ سريراً من ذهب وكلله بأنواع الجواهر، وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ ، وسماها الحسناء، ودون الدواوين ، وقوى ملكه بانتخابه الجنود . وعمر الأرض وجبى الخراج لأرزاق الجند ، واشتدت شوكة الترك في زمانه ، فنزل مدينة بلخ لقتالهم ، وكان محموداً عند أهل مملكته ، شديد القمع لاعدائه المجاورين له ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة ، عظيم البنيان ، وشق عدة أنهار وعمر البلاد وحمل إليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج ، وكاتبوه بالتمليك هية له وحذراً منه ثم انه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب في الملك وكان ملكه مائة وعشرين سنة.

وملك بعده ابنه بتشاسب وفي أيامه ظهر زرادشت بن سقيمان الذي ادعى النبوة وتبعه المجوس . وكان زرادشت فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة أرميا النبي خاصةً به فخانه وكذب عليه ، فدعا الله عليه ، فبرص ولحق ببلاد اذربيجان وشرع بها دين المجوس .

وقيل : إنه من العجم وصنف كتاباً وطاف به الأرض فما عرف أحد معناه ، وزعم أنها لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتا، فسار من اذربيجان إلى فارس ، فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه ، فسار الى الهند، وعرضه على ملوكها . ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد؛ وأخرجوه من بلادهم ، وقصد

فرغانة فأراد ملكها أن يقتله ، فهرب منها وقصد بشتاسب بن
لهراسب فأمر بحبسه فحبس مدة .
وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير؛ ثم
شرح الزند بكتاب سماه

بازند يعني تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضات
وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من أخبار القرون الماضية
وكتب الأنبياء، وفي كتابه : تمسكوا بما جئكم به الى أن
يجيئكم صاحب الجمل الأحمر يعني ، محمداً صلى الله عليه
وسلم وذلك على رأس ألف سنة وستمئة سنة (ا) وبسبب
ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ، ثم يذكر عند
أخبار سابور ذي الأكتاف أن من جملة الأسباب الموجبة
لغزوة العرب هذا القول والله أعلم .

ثم أن بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ ، فلما قدم عليه
شرع له دينه فأعجبه واتبعه وقهر الناس على اتباعه : وقتل
منهم خلقاً كثيراً حتى قبلوه ودانوا به .

وأما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان ، وأنه نزل
على الملك من سقف إيوانه ويده كبة من نار يلعب بها ولا
تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه ، وانه اتبعه الملك
ودان بدينه ، وبنى بيوت النيران في البلاد وأشعل من تلك
النار في بيوت النيران ، فيزعمون أن النيران التي في بيوت
عباداتهم من تلك الى الآن .

وكذبوا فإن النار التي للمجوس طفئت في جميع البيوت
لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم على ما ذكره إن
شاء الله تعالى .

وكان ظهور زرادشت بعد مضي ثلاثين سنة من ملك
بشتاسب ، وأتاه بكتاب زعم أنه وحي من الله تعالى، وكتب
في جلده اثني عشر ألف بقرة حفرآ، ونقشاً بالذهب ، فجعله
بشتاسب في موضع باصطخر، ومنع من تعليمه العامة، وكان

بشتاسب وآبؤه قبله يدينون بدين الصابئة ، وسيرد باقي أخباره .

ذكر مسير بختنصر (2) إلى بني إسرائيل

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه بختنصر على بني إسرائيل ف قيل : كان في عهد أرميا النبي ، ودانيال ، وحنانيا ، وعزارييا ، وميشائيل .

(1) هذا لا يكون لأنه إذا كان من تلاميذ أرميا فيكون ذلك في أيام سبي بابل أو بعد ذلك بقليل ، وسبي بابل كان في القرن السادس قبل الميلاد والنبي صلى الله عليه وسلم ، جاء في القرن السابع بعده ومدّة ذلك ألف ومائتا سنة أو أقل . (منيرية) .

(2) قال في القاموس : وبخت نصر - بالتشديد ، أصله " بوخت " ومعناه ابن ، و " نصر " - كبقم - صنم .

وقيل : إنما أرسله الله على بني إسرائيل لما قتلوا يحص (١) بن زكريا . والأول أكثر .

وكان ابتداء أمر بختنصر ما ذكره سعيد بن جبير قال : كان رجل من بني إسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ الى قوله تعالى : { بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ } (2) قال : أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يده ، فأرى في المنام مسكيناً يقال له : بختنصر بابل ، فسار على سبيل التجارة إلى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنه حتى دلوه على بختنصر فأرسل من حضره فرآه صعلوكاً مريضاً ، فقام عليه في مرضه يعالجه حتى برأ فلما برأ أعطاه نفقة وعزم على السفر ، فقال له بختنصر ، وهو يبكي ، فعلت معي ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك . قال الاسرائيلي : بلى تقدر عليه تكتب لي كتاباً إن مَلَكْتُ أطلقتني فقال : أتستهزىء بي ؟ فقال : إنما هذا أمرٌ لا محالة كائن .

ثم إن ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام ، فأرسل إنساناً يثق به ليتعرف له أخباره وحال من فيه ، فسار إليه ومعه بختنصر فقير لم يخرج إلا للخدمة ، فلما قدم الشام رأى أكبر بلاد الله خيلاً ورجالاً وسلاحاً ، فقَت ذلك في ذرعه . فلم يسأل عن شيء وجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام ، فيقول لهم ما يمنعكم أن تغزوا بابل ؟ فلو غزوتموها مادون بيت مالها شيء فكلهم يقول له : لا نحسن القتال ولا نراه . فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا هن الرجال والسلاح والخيول وأرسل بختنصر إلى الملك يطلب إليه أن

يحضره ليعرفه جلية الحال ، فأحضره فأخبره بما كان جميعه

ثم إنَّ الملك أراد أن يبعث عسكرياً إلى الشام أربعة آلاف راكب جريده واستشار فيمن يكون عليهم فأشاروا ببعض أصحابه ، فقال : لا بل بختنصر فجعله عليهم فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين ، ثم أن لهراسب استعمله أصبهد على ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غرب دجلة .

وكان السبب في مسيره إلى بني اسرائيل أنه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار إلى

غلط فاحش في التاريخ فإن بخت نصر ولي الملك (1)

سنة 606 ق. م. ، ويحيى قتل بعد الميلاد في العقد الثالث منه أي في سنة 28 م تقريباً . (م.) .

الإسراء: 5. (2)

الشام فصالحه أهل دمشق وبيت المقدس فعاد عنهم وأخذ رهائنهم ، فلما عاد من القدس إلى طبرية وثب بنو إسرائيل على ملكهم الذي صالح بختنصر فقتلوه وقالوا داهنت أهل بابل وخذلتنا .

فلما سمع بختنصر بقتل الرهائن الذين معه عاد الى القدس فأخرجه .

وقيل : إن الذي استعمله إنما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن لهراسب ، وكان بختنصر قد خدم جده وأباه وخدمه وعمر عمراً طويلاً، فأرسل بهمن رسلاً إلى ملك بني اسرائيل بيت المقدس فقتلهم الإسرائيلي فغضب بهمن من ذلك ، واستعمل بختنصر على أقاليم بابل وسيره في الجنود الكثيرة فعمل بهم ما نذكره. هذه الأسباب الظاهرة .

وإنما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره ، وكانت سنة الله تعالى في بني اسرائيل أنه إذا ملك عليهم ملكاً أرسل معه نبياً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة، فلما كان قبل مسير بختنصر إليهم كثرت فيهم الأحداث والمعاصي ، وكان الملك فيهم يقونيا بن يواقيم فبعث الله إليه أرميا قيل هو الخضر عليه السلام ، فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي ويذكر لهم نعمة الله عليهم بإهلاك سنحاريب فلم يراعوا فأمره الله أن يحذرهم عقوبته وأنهم إن لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم مَنْ يقتلهم ويسبي ذراريهم ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوها فأرسل الله إليه

لأقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ، ويضل فيها رأي ذي
الرأي ، وحكمة الحكيم ، ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً
ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة، يتبعه عدد مثل سواد
الليل ، وعسكر مثل قطع السحاب ، يهلك بني اسرائيل
وينتقم منهم ويخرب بيت المقدس فلما سمع أرميا ذلك صاح
وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه (ا)، وتضرع إلى
الله في رفع ذلك عنهم في أيامه ، فأوحى الله إليه : " وعزتي
لا أهلك بيت المقدس وبني اسرائيل حتى يكون الأمر من
قبلك في ذلك " .

ففرح أرميا وقال : لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا
آمر بهلاك بني اسرائيل أبداً .

(1) كلا ، بل هذا بهتان مبين .

وأتى ملك بني اسرائيل فاعلمه بما أوحى إليه فاستبشر وفرح ، ثم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين ولم يزدادوا إلا معصية وتمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي حيث لم يكونوا هم يتذكرون ، فقال لهم ملكهم : يا بني اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله . فلم ينتهوا، فألقى الله في قلب بختنصر أن يسير إلى بني اسرائيل بيت المقدس فسار في العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء، وبلغ ملك بني اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبي ، فما حضر عنده قال له : يا أرميا أين ما زعمت أن ربك أوحى إليك أن لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الأمر منك ؟ فقال أرميا : إنَّ ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق .

فلما قُرِبَ الأجل ودَتَا انقطاعُ ملكهم وأراد الله إهلاكهم أرسل الله مَلَكًا في صورة آدميِّ إلى أرميا ، وقال له استفتته . فأتاه وقال له : يا أرميا أنا رجل من بني اسرائيل م ستفتيك في ذوي رحمي وصلِّتُ أرحامهم بما أمرني الله به ، وأتيت إليهم حسناً وكرامة فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا سخطاً لي وسوء سيرة معي فأفتني فيهم ، فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله وَصِلْ ما أمرك الله به أن تصله .

فأنصرف عنه الملك ثم عاد إليه بعد أيام في تلك الصورة، فقال له أرميا : أما طهرت أخلاقهم وما رأيت منهم ما تريد؟ فقال : والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يؤتيها أحد من الناس إلى ذوي رحمه إلا وقد آتيتها إليهم وأفضل من ذلك فلم يزدادوا إلا سوء سيرة، فقال : ارجع إلى أهلك وأحسن إليهم .

فقام الملك من عنده فلبث أياماً، ونزل بختنصر على بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل ، وقال ملكهم لأرميا : أين ما وعدك ربك ؟ فقال : إني بربي واثق . ثم إنّ المَلَك الذي أرسله الله يستفتي أرميا عاد إليه وهو قاعد عنى جدار بيت المقدس ، فقال مثل قوله الأول وشكا أهله وجورهم ، وقال له : يا نبي الله كل شيء كنت أصبر عليه قبل اليوم لأن ذلك كان فيه سخطي وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم مِنْ سخط الله تعالى، فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتد عليهم غضبي ، وإنما غضبت اليوم لله وأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا ما

دعوت الله عليهم أن يهلكوا، فقال أرميا : يا ملك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقيهم وأن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم .

فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها ، فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه ، وقال : يا ملك السموات والأرض يا أرحم الراحمين أين ميعادك أيها رب الذي وعدتني به ؟

فأوحى الله ، إليه أنه لم يصبهم ما أصابهم ألا بفتياك التي أفتيت رسولنا فاستيقن أنها فتياه ، وأن السائل كان من عند الله .

وخرج أرميا حتى خالط الوحش ، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطىء الشام ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وحرب بيت المقدس ، وأمر جنوده فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملأوه ثم انصرف راجعاً إلى بابل ، وأخذ معه سبائاً بني اسرائيل ، وأمرهم فجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمعوا واختار منهم مائة ألف صبي فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه ، وكان من أولئك الغلمان دانيال ، النبي وحنانيا ، وعزاريا ، وميشائيل . وقسم بني اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلاثاً ، وأقر بالشام ثلاثاً ؛ وسبى ثلاثاً.

ثم عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذي رؤي بفلوات الأرض والبلدان ، ثم أن بختنصر عاد إلى بابل وأقام في سلطانه ما

شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا فبينما هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئا أنساه ما رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزارياء وميشائيل ، وقال : أخبروني عن رؤيا رأيتموها فأنسيتها ولئن لم تخبروني بها وتأويلها لا نزعن أكتافكم .

فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا إليه ، وسألوه أن يعلمهم إياها، فأعلمهم الذي سألهم عنه ، فجاؤوا إلى بختنصر، فقالوا : رأيت تمثالا قال : صدقتم . قالوا : قدماه وساقاه من فخار، وركبته وفخذه من نحاس ، وبطنه من فضة وصدره من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله عليه صخرة من السماء فدقته ، وهي التي أنستك الرؤيا.

قال صدقتم . فما تأويلها؟ قالوا أريت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكاً من

بعض؛ وبعضهم كان أحسن ملكاً من بعض ، وبعضهم أشد، وكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه ثم كان فوته النحاس وهو أفضل منه وأشد، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن ، ثم كان فوقها الذهب وهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد وهو ملكك فهو أشد الملك وأعز وكانت الصخرة التي رأيت - أن أرسل الله ملكاً من السماء فدق ذلك جميعه - نياً يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه .

فلما عبّر دانيال ومن معه رؤيا بختنصر قربهم وأدناهم واستشارهم في أمره ، فحسداهم أصحابه وسعوا بهم إليه ، وقالوا عنهم ما أوحشه منهم ، فأمر فحفر لهم أخدوداً وألقاهم فيه وهم ستة رجال وألقى معهم سَبْعاً ضارياً ليأكلهم ، ثم قال أصحاب بختنصر: انطلقوا فلنأكل ولنشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخذش منهم أحداً ، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً ، فخرج إليهم السابع وكان مَلَكاً من الملائكة، فلطم بختنصر لطمه فمسخه ، وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الانسان، ثم رده الله إلى صورة الإنس وأعاد عليه مُلُكه ، فلما عاد إلى ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه ، فعاد الفُرس وسعوا بهم إلى بختنصر وقالوا له في سعائتهم : إن دانيال إذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عاراً فصنع لهم بختنصر طعاماً وأحضره عنده ، وقال للبواب : انظر أول من يخرج ليبول فاقتله وإن قال لك أنا بختنصر

فقل له : كذبت ، بختنصر أمرني بقتلك ، واقتله. فحبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من الجمع بختنصر، فقام مدلاً أنه الملك لئلا يقدم أحد عليه . وكان ذلك ليلاً فلما رآه البواب شد عليه ليقتله . فقال له : أنا بختنصر فقال له : كذبت إن بختنصر أمرني بقتلك ، وقَتَله .

-وقيل في سبب قَتْلِهِ : إن الله أرسل عليه بَعُوضَةَ فدخلت في مَنْخَرِهِ وصعدت الى رأسه ، فكان لا يقر ولا يسكن حق يدق رأسه فلما حضره الموت قال لأهله : شقوا رأسي فانظروا ما هذا الذي قتلني ؟ فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة بأمر رأسه ليري الله العباد قدرته وسلطانه ووضَعَفَ بختنصر ، لَمَا تجبر قتله بأضعف مخلوقاته ، تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد، وأما دانيال فإنه أقام

بأرض بابل ، وانتقل عنها ومات ، ودفن بالسُّوس (1) من أعمال خوزستان (2) .

ولما أراد الله تعالى أَنْ يَرُدَّ بني اسرائيل إلى بيت المقدس كان بختنصر قد مات ، فإنه عاش بعد تخريب بيت المقدس أربعين سنة في قول بعض أهل العلم ، وملك بعده ابن له يقال له : والمردج ، فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ثم هلك ، وملك ابن له يقال له : بلتاصر سنة ، فلما ملك تخلط في أمره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو مختلف فيه على ما ذكرناه ، واستعمل بعده داريوش على بابل والشام وبقي ثلاثين سنة، ثم عزله واستعمل مكانه أخشويرش فبقي أربع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه كيرش العلمي وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية وفهم عن دانيال ومن معه مثل حناينا وعزاريا وغيرهما ، فسألوه أن يأذن لهم في الخروج الى بيت المقدس ، فقال لو كان بقي منكم ألف نبي ما فارقتكم ، وولى دانيال القضاء وجعل إليه جميع لا أمره ، وأمره أن يقسم ما غنمه بختنصر من بني إسرائيل عليهم ، وأمرهم بعمارة بيت المقدس ، فعمر في أيامه وعاد إليه بنو اسرائيل وهذه المدة لهؤلاء الملوك معدودة من

خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر ، وكان ملك كيرش اثنتين وعشرين سنة .

وقيل : إن الذي أَمَرَ بعود بني إسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب ، وكان قد بَلَغَهُ خراب بلاد الشام ، وأنها لم يبق بها من بني إسرائيل أحد فنأدى في أرض بابل

من شاء من بني إسرائيل أن يرجع إلى الشام فليرجع ،
وملك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس
، فرجعوا وعمروه .

وكان أرميا بن حزقيا من سبط هارون بن عمران ، فلما
وطىء بختنصر الشام وخرّب بيت المقدس وقتل بني
إسرائيل وسباهم وقد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد
بختنصر إلى بابل أقبل أرميا على حمار له معه عصير عنب
وفي يده سلة تين ، فرأى بيت المقدس خراباً ، فقال : { أتى
يُخَيِّ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتُهُ اللَّهُ مَائَةً

- (1) السوس : بلدة بخوزستان ، وجد بها جد دانيال فدفن
في نهرها تحت الماء وغمر قبره ، وموضعه ظاهر يُزار - ولا
حول ولا قوة إلا بالله .
- (2) اسم لجميع بلاد الخوز بفارس (الخوز : قوم يقطنون
تلك البلاد) وهي نواحي أهواز ، بين فارس ، وواسط ،
والبصرة ، وجبال اللوز المجاورة لأصبهان . وكلمة (استان)
في كلام العجم كالنسيّة .

عَامَ { (1) ، ثم أمات حماره وأعمى عنه العيون ، فلما أن عمر بيت المقدس أحيا الله من أرميا عينيه ، ثم أحيا جسده وهو ينظر إليه ، وقيل له : { كَمْ لَبِثْتُ ؟ قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } ، قيل : { بَلْ لَبِثْتُ مَآئَةَ عَامٍ ، فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَّسِنْهُ } ويتغير ، { وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ } (2) ، فنظر الى عظام حماره وهي تجتمع بعضها إلى بعض ، ثم كسي لحمًا ، ثم قام حيًّا بأذن الله ونظر الى المدينة وهي تبنى ، وقد كثر فيها بنو إسرائيل وتراجعوا إليها من البلاد، وكان عَهْدَهَا خرابًا وأهلها ما بين قتيل وأسير ، فلما رآها عامرة { قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .

وقيل : إن الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه كان عُزَيْرًا ، فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وَهْمٍ منه فرمئ عنده عجوزاً عمياء رَمِيَّةٌ كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها : هذا منزل عزيز ؟ قالت : نعم ، وبكت .

وقالت : ما أرى أحداً يذكر عزيزاً غيرك ، فقال ؛ أنا عزيز ، فقالت : إن عزيزاً كان مجاب الدعوة ، فادعوا الله لي بالعافية ، فدعا لها فعاد بصرها ، وقامت ومشيت فلما رآته عرفته ، وكان لعزير ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله أولاد شيوخ ، فذهبت اليهم الجارية ، وأخبرتهم به فجاؤوا ، فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره .

وقيل : إن عزيزاً كان مع بني إسرائيل بالعراق فعاد إلى بيت المقدس ، فجدد بيني اسرائيل التوراة لأنهم عادوا إلى بيت المقدس ، ولتم يكن معهم التوراة لأنها كانت قد اخذت

فِيمَا أَخِذَ وَأُخْرِقَتْ وَعُدِمَتْ ، وَكَانَ عَزِيرٌ قَدْ أَخَذَ مَعَ السَّبِيِّ ،
فَلَمَّا عَادَ عَزِيرٌ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَعَلَ يَبْكِي
لَيْلاً وَنَهَاراً وَانْفَرَدَ عَنِ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ فِي حَزْنِهِ إِذْ
أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَهُوَ جَالِسٌ فَقَالَ ؛ يَا عَزِيرُ مَا يَبْكِيكَ ؟ فَقَالَ :
أَبْكِي لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ وَعَهْدَهُ الَّذِي كَانَ بَيْنَ أَظْهَرْنَا انْعَدَمَ .
قَالَ : فَتَرِيدُ أَنْ يَرُدَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَارْجِعْ
وَصُمْ وَتَطَهَّرْ وَالْمِيعَادَ بَيْنَنَا غَدًا هَذَا الْمَكَانَ ، فَفَعَلَ عَزِيرٌ ذَلِكَ
، وَأَتَى الْمَكَانَ فَانْتَظَرَهُ ، وَأَتَاهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ
وَكَانَ مَلِكاً بَعَثَهُ اللَّهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ فَسَقَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنَاءِ
فَتَمَثَّلَتْ

التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بخلالها وحرامها وحدودها فأحبوه حباً شديداً لم يُحبوا شيئاً قط مثله وأصلح أمرهم وأقام عزير بينهم ثم قبضه الله إليه على ذلك وحدثت فيهم الأحداث حتى قال بعضهم : عزير ابن الله ولم يزل بنو إسرائيل بيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة ؛ وقد اختلف العلماء في أمر بختنصر وعمارة بيت المقدس اختلافاً كثيراً تركنا ذكره اختصاراً .

ذكر غزو بختنصر العرب

قيل :. أوحى الله إلى برخيا بن حنانيا يأمره أن يقول لبختنصر: ليغزو العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم . فقال برخيا لبختنصر ، ما أمر به ، فابتدأ بمن في بلاده من تجار العرب فأخذهم وبنى لهم حران (1) بالنجف ، وحبسهم فيه ، ووكل بهم وانتشر الخبر في العرب ، ففرجت إليه . طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم فأنزلهم السواد فابتنوا الأنبار(2) ، وخلي عن أهل الحيرة(2) فاتخذوها منزلاً حياة بختنصر ، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة والأنبار ، وسار إلى العرب بنجد والحجاز ، فأوحى الله إلى برخيا وأرميا يأمرهما أن يسيرا إلى معدّ بن عدنان (3) . فياخذه ويحملاه إلى حران ، وأعلمهما أنه يخرج من نسله محمد صلى الله عليه وسلم الذي يختم به الأنبياء.

فسارا تُطَوَى لهما المنازل والأرض حتى سبقا بختنصر إلى
معد فحملاه إلى حران في ساعتها ولمعد حينئذ اثنتا عشرة
سنة ، وسار بختنصر فلقى جموع العرب فقاتلهم فهزمهم ،
وأكثرَ القتْلَ فيهم ، وسارَ إلي الحجاز ، فجمع عدنان العرب ،
والتقى هو

(1) النجف يظهر الكوفة كالمسناة تمنع مَسِيل الماء أن
يعلو الكوفة ومقابرها ، وبالقرب من هذا الموضع أمير
المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(2) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، كانت مسكن
ملوك العرب في الجاهلية النعمان بن المنذر وآبؤه .

(3) تفيد عبارة المؤلف أن معد بن عدنان كان موجوداً في
عهد بختنصر وهذا بعيد لانه يقتضى أن يتناسل عشرون طبقة
في ألف ومائتى سنة، ويلزم منه أن لا يولد للرجل إلا بعد فضى
ستين سنة من عمره على توالى عشرين شخصاً ، ولا يخفى ما
فيه . (منيرية) .

وبختنصر بذات عرق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم
عدنان وتبَّعهُ بختنصر إلى حُصون هناك ، واجتمع عليه العرب
وخندق كُلِّ واحدٍ مِنَ الفريقين على نفسه وأصحابه ، فكمن
بختنصر كميناً وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف ، فنادوا
بالويل ، ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان ،
فافترقا فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الأنبياء
حتى أتى مكة ، فأقام أعلامها وَحَجَّ وَحَجَّ معه الأنبياء ، وخرج
معد حق أتى ريشوب وسأل عمن بقي من ولد الحارث بن
مضاض الجرهمي ، ف قيل له : بقي جوشم بن جلهمة فتزوج
معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد .

*

ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه لهراسب

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرر قوانينه ، وابتنى بفارس مدينة فسا ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب ؛ وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته : ثم أنه ارسل إلى ملك الترك واسمه خزراسف - وهو أخو افراسياب - وصالحه ، واستقر الصلح على أن يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب الملوك ، فلما جاء زرادشت إلى بشتاسب واتبعه على ما ذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك ، وقال أنا أعين لك طالعاً تسير فيه إلى الحرب فتظفر وهذا أول وقت وضعت فيه الاختبارات للملوك بالنجوم ، وكان زرادشت عالماً بالنجوم جيد المعرفة بها فأجابه بشتاسب الى ذلك ، لا فأرسل إلى الدابة التي يباب ملك الترك وإلى الموكل بها فصرفها ؛ فغضب ملك الترك وأرسل إليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانقاذ زرادشت إليه وإن لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته ، فكتب إليه بشتاسب كتاباً غليظاً يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما إلى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالاً شديداً . فكانت الهزيمة على الترك وقتلوا قتلاً ذريعاً ومروا منهزمين . وعاد بشتاسب الى بلخ ، وعظم أمر زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله ، وكان أعظم الناس غناء في هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب ، فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه اسفنديار ، وقالوا : يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيداً ؛

ثم ان بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان ؛ وسار الى جبل يقال له طمبدر لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسب ببلخ شيخاً قد أبطله الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه ، فبلغت الأخبار الى ملك الترك خزراسف ، فلما تحققه جمع عساكره وحشد وسار الى بلخ ، وانتهاز الفرصة بغية بشتاسب عن مملكته ، ولما بلغ بلخ ملكها . وقتل لهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة . وأحرق الدواوين . وهدم بيوت النيران . وأرسل السرايا

إلى البلاد فقتلوا وسبوا وأخربوا ، وسبى ابنتين لبشتاسب إحداهما خماني ، وأخذ علمهم الأكبر المعروف بدرفش كايان ، وسار متبعاً لبشتاسب ، وهرب بشتاسب من بين يديه ، فتحصن بتلك الجبال مما يلي فارس ، وضاق ذرعاً بما نزل به .

فلما اشتد عليه الأمر أرسل الى ابنه اسفنديار مع عالمهم جاماسب فأخرجه من محبسه واعتذر إليه ، ووعده أن يعهد إليه بالملك من بعده ، فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجند ويات ليلته مشغولاً بالتجهز، وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم ، والتقوا واقتتلوا والتحمت الحرب وحمى الوطيس ، وحمل اسفنديار على جانب من العسكر فأثر فيه ووهنه ، وتابع الحملات وفشا في الترك أن اسفنديار هو المتولي لحربهم فانهمزوا لا يلوون على شيء ؛ وانصرف اسفنديار وقد ارتجع درفش كايان. فلما دخل على أبيه استبشر به ، وأمره باتباع الترك ، ووصاه بقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله ، ويقتل من الترك من أمكنه قتله ، وأن يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلادهم . فسار اسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبى وأخرب. وبلغ مدينتهم العظمى . ودخلها عنوة . وقتل الملك وإخوته ومقاتلته . واستباح أمواله ، وسبى نساءه. واستنقذ أخته ودوخ البلاد . وانتهى إلى آخر حدود بلاد الترك ، وإلى التبت . وأقطع بلاد الترك وجعل كل ناحية إلى رجل من وجوه الترك بعد أن أمنهم . ووظف عليهم خراجاً يحملونه كل سنة إلى أبيه بشتاسب . ثم عاد إلى بلخ :

فحسده أبوه بما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك وأسر ذلك فى نفسه . وأمره بالتجهز والمسير إلى قتال رستم الشديد بسجستان . وقال له : هذا رستم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لأن الملك كيكاووس أعتقه فاقطعه إياها وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاووس وكان غرض بشتاسب أن يقتله رستم أو يقتل هو رستم فإنه كان أيضاً شديد الكراهة لرستم . العساكر وسار إلى رستم لينزع سجستان منه فخرج إليه رستم وقاتله فقتل اسفنديار قتله رستم ،ومات بشتاسب وكان ملكة مائة سنة واثنتي عشرة سنة،وقيل مائة وعشرين سنة، وقيل مائة وخمسين سنة، وقيل : إنه جاءه رجل من بني إسرائيل زعم أنه نبي إليه أرسل إليه واجتمع به ببلخ فكان يتلکم بالعبري وزرادشت نبي المجوس يعبر عنه وجاماسب العالم هو حاضر معهم يترجم أيضاً عن الاسرائيلي ، وكان بشتاسب ومن قبله من آباءه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت.

ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاووس إلى أيام بهمن بن اسفنديار

قد مضى ذكر الخبر عن زعم ان كيكاووس كان في عهد سليمان بن داود ، وقد ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن ، والخبر عن بلقيس بنت اليشرح ، وصار الملك بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له : انعم الانعام ، قال أهل اليمن أنه سار غازياً نحو المغرب حتى بلغ وادياً يقال له وادي الرمل ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذا انكشف الرمل ، فأمر رجلاً يقال له عمرو أن يعبر هو وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا ، فلما رأى ذلك أمر بصب صنم نحاس فصنع ، ثم نصب على صخرة على شفير الوادي ، وكتب على صدره بالمسند : هذا الصنم لياسر انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب ؛ وقيل أن وراء ذلك الرمل قوماً من أمة موسى وهم الذين عنى الله بقوله { ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون } والله أعلم .

ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكيكرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ ، وكان يقال له الزائد ، وكان تبع هذا في أيام بشتاسب واردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب وانه شخص متوجها من اليمن في الطريق الذي سلكه الرائش حتى خرج على جبلي طيئ ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى الى موضع الحيرة تحير وكان ليلاً فأقام بمكانه ، فسمي ذلك المكان

بالحيرة ، وخلف به قوماً من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاة، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل إليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبلحرث بن كعب وإياد ، ثم وجه الى الموصل ثم إلى أذربيجان ، فلقى الترك فهزمهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، ثم عاد إلى اليمن فهابته الملوك وأهدوا إليه ، وقدمت عليه هدية ملك الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود

وسائر طرف الهند فرأى ما لم ير مثله ؛ فقال للرسول كل هذا في بلدكم ؛ فقال أكثره من بلد الصين . ووصف له بلد الصين فحلف ليغزونها . فسار بحمير حتى أتى الى الركايك وأصحاب القلانس السود . ووجه رجلاً من أصحابه يقال له ثابت ، نحو الصين في جمع عظيم . فأصيب ، فسار تبع حتى دخل الصين . فقتل مقاتلتها واكتسح ما وجد فيها . وكان مسيره ومقامه ورجعته في سبع سنين ، ثم انه خلف بالثبت اثني عشر ألف فارس من حمير ، فهم أهل التبت . ويزعمون أنهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقهم هكذا ذكر .

○ وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم بعضهم من آخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ما وجدنا مختصراً .

ذكر خير اردشير بهمن وابنته خماني

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه اردشير بن اسفنديار ، وكان مظفراً في مغازيه ، وملك أكثر من أبيه ، وقيل انه ابنتى بالسواد مدينة وسماها أياوان اردشير ، وهي القرية المعروفة بهمينا بالزاب الأعلى ، وابنتى بكور دجلة الابله ، وسار الى سجستان طالباً بثأر أبيه ، فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز ، وبهمن هو ابو دارا الأكبر . أبو ساسان أبي ملوك الفرس الاحرار اردشير بن بابك وولده وأم دارا خماني ابنة بهمن فهي أخته وأمه . وغزا بهمن رومية الداخلة في ألف ألف مقاتل . وكان ملوك الأرض يحملون إليه الأتاوة

. وكان أعظم ملوك الفرس شأنًا وأفضلهم تدبيراً . وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب . وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود . وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة . وقيل ثمانين سنة . وكان متواضعاً مرضياً فيهم وكانت كتبه تخرج من عبدالله خادم الله السائس لأموركم .
ثم ملكت بعده ابنته خماني ملكوها حباً لأبيها ولعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد ، وقيل : إنما ملكت لأنها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ، ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملاً في بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك ، فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤوس

الجبال واتخذ غنماً وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه ، وهلك بهمن وابنه دارا في بطن أمه فملكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها ، فأنفقت من إظهار ذلك ، وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته في نهر الكر من اصطخر ، وقيل بنهر بلخ ، وسار التابوت الى طحان من أهل اصطخر ، ففرح لما فيه من الجواهر ، فحضنته امرأته ، ثم ظهر أمره حين شبّ ، فأقرت خماني باسائها . فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون أبناء الملوك فحولت التاج إليه وسارت إلى فارس وبنت مدينة إصطخر(ا) . وكانت قد أوتيت ظفراً ، وأغزت الروم ، وشغلت الأعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيها الخراج ، وكان ملكها ثلاثين سنة ، وقيل : إن خماني أم دارا حضنته حتى كبر فسلمت الملك إليه ، وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم .

ونرجع إلى ذكر بني اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرفها ومدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس ، قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بني اسرائيل الذين كان يختنصر سباهم ، وكان ذلك في أيام كيرش بن اخشويرش ، وملكه ببابل من قبل بهمن وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني ، وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر مائة سنة ؛ كل ذلك في أيام بهمن بعضه ، وفي أيام ابنته خماني بعضه ، وقيل : غير ذلك ، وقد تقدم ذكر الاختلاف ، وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب وأنكر عليه قوله ولم يملك كيرش منفرداً قط ، ولما عمر بيت المقدس ورجع إليه أهله

كان فيهم عزيز وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس
أما رجل منهم وأما رجل من بني إسرائيل إلى أن صار الملك
بناحيتهم في لليونانية والروم لسبب غلبة الاسكندر على
الناحية حين قتل دارا بن دارا وكان جملة مدة ذلك فيما قيل
ثمانياً وثمانين سنة.

ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا لأصغر

وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار وكان يلقب جهرازاد
يعني كريم الطبع ، فنزل ببابل ، وكان ضابطاً لملكه قاهراً
لمن حوله من الملوك يؤدون إليه الخراج ، وبنى بفارس
(1) إصطخر ، بلدة بفارس ، يقال إن كور فارس
خمسة أكبرها وأصلها كورة إصطخر.

مدينة سماها دارا يجرّد وحذف دواب البر" ورتبها ، وكان معجباً بابنه دارا ، ومن حبه له سماها باسم نفسه ، وصير له المُلْك بعده وكان مُلكه اثنتين وعشرين سنة .

ثم مَلَك بعده ابنه دارا وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من تَصِيْبِيْن (1) مدينة دارا وهي مشهورة الى الآن واستوزر إنساناً لا يصلح لها فأفسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره ، واستوحش منه الخاصة والعامّة ، وكان شاباً غِرّاً (2) جميلاً حقوداً جباراً سيء السيرة في رعيته ، وكان ملكه أربع عشرة سنة .

(1) تَصِيْبِيْن : مدينة من بلاد الجزيرة بالعراق على جادة

القوافل من مَوْصِل إلى الشام .

(2) الغِرّ هو الجاهل بالأمور الغافل عنها .

ذكر الإسكندر (1) ذي القرنين (2)

كان فليفوس (3) أبو الإسكندر اليوناني من أهل بلدة يقال لها مقدونية (4) كان ملكاً

(1) الاسكندر المعنى هنا هو الاسكندر الأكبر (اسكندر الثالث) (356 - 323 ق . م) ملك مقدونيا ، ابن فيليب الثاني من أوليمبياس .

تتلمذ على أرسطو ، وأخضع الثورات التي قامت بعد موت أبيه في المدن الإغريقية وتراقيا والليديا .

وفي سنة 334 ق . م بدأ تنفيذ مشروع محاربة الفرس الذي ورثه عن أبيه ، أحرز عند نهر جرانيكوس وفي موقعة : " أسوس " نصرين باهرين ، ثم قضى قُرابة عام لإخضاع صور وعَزة . وفي سنة 332 ق . م . يمم شطر مضر فاستسلم له واليها الفارسي . قدم الاسكندر القرابين للآلهة المصريين ، ورسم فرعوناً في مَنف ، واعتنق فكرة الملكية الإلهية ، وأسر مدينة الاسكندرية في طريقه إلى معبد الوحي بسيوه .

وفي سنة 331 ق . م التقى ثانية بالملك الأكبر وهزمه عند جاوجميلا .

توغل الاسكندر في الامبراطورية الفارسية حق الهند حيث اجتاح البنجاب . رفض جنوده التقدم إلى ما وراء ذلك فعاد أدراجه بعد رحلة شاقة عبر الأقاليم الصحراوية . وبلغ سوسة 324 . وتزوج من الأميرة الباكترية روكسانا ، وأمر رفاقه ورجاله باتخاذ زوجات شرقيات .

وفي سنة 323 أصيب بالحمى ومات وعمره : 33 سنة .

ويصعب الحزم بأنه كان ينوي فتح العالم بأسره . أحرز فتوحات لم يحرز مثلها قائد قبله . وتوفى دون وصية أو ترشيح خلف له أو تنظيم طريقة الحكم فى تلك الامبراطورية الواسعة . نغم عليه رجاله استراقه وإرغامهم علن مخالطة الشرقيين والإصهار منهم وكان كل ذلك مما توصل به لتوحيد الشرق والغرب والربط بينهما لا بالقوة وإنما بالمساواة والمحبة . قضى على هذه الأفكار قواده الذين خلّفوه واقتسموا إمبراطوريته . يعتبر من أعظم القواد وأبرز الشخصيات فى التاريخ . ويعزى إليه نشر الحضارة الإغريقية فى الشرق ، وأحدث تغييرات جوهرية فى مجرى التاريخ .

(2) بنى المصنف هنا حديثه عن ذى القرنين على أنه الاسكندر الأكبر لكن يلاحظ أن الله تبارك وتعالى حين ذكر فى كتابه أشار الى أنه ملك من أهل الإيمان { قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً وأما من آمن وعمل صالحاً . . . } قال ما مكنتى فيه ربي خيراً . . الخ } أما الاسكندر المقدونى فما عرف عنه ذلك فهو تلميذ أرسطو وكلاهما كافر فلا يمكن أن يكون هو ذا القرنين .

وقد كتب أبو الكلام أزداد مصنفاً قرر فيه أن ذا القرنين هو قورش (أو : كورش) الملك الفارسى لكن يرد عليه نفس الاعتراض (؟ !) .

أقول : ينبغي تقرير أنه حتى إن لم نعرف فى التاريخ ملكاً مؤمناً بهذه الصفات الواردة عن ذى القرنين فليس هذا

بمبرر بخلعها على الاسكندر أو قورش فما زالت كثير من حلقات التاريخ تنكشف لنا يوماً بعد يوم.

(3) كذا، والصحيح: (فيلبس،:،)

(4) مقدونية القديمة: دولة قديمة شمال شبه جزيرة البلقان كان سكانها خليطاً يضمون شعوباً تتصل باللبانيين المحدثين وبعض الشعوب الاغريقية وكانت المستعمرات الاغريقية التي انشئت بامتداد الشاطيء في القرن الثامن ق. م مصدراً لأول أثر للحضارة الاغريقية تسلل إلى مقدونية، وفي القرن السابع ق. م =

عليها وعلى بلاد أخرى ، فصالح دارا على خراجٍ يحمله إليه في كل سنة ، فلما هلك فيلفوس مَلَكَ بعده ابنه الإسكندر ، واستولى على بلاد الروم أجمع ، فقوي على دارا فلم يحمل إليه من الخراج شيئاً وكان الخراج الذي يحمله بَيْضاً من ذهب ، فسخط عليه دارا ، وكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه في تزك حمل الخراج ، وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيز من سمس وكتب إليه أنه صبي وأنه ينبغي له أن يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك ، وإن لم يفعل ذلك واستعص عليه بعث إليه مَنْ يأتيه به في وثاق ، وإن عدَّة جنوده كعدَّة حَب السمس الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر أنه قد فهم ما كتب به وقد تظَّر إلى ما ذكر في كتابه إليه من إرساله الصولجان والكرة وتيمن به لإلقاء الملقى الكرة الى الصولجان واحترازه إياها ؛ ويشبه الأرض بالكرة وأنه يجر ملك دارا إلى ملكه ؛ وتيمنه بالسمس الذي بعث كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبغده من المرارة والحرافة ، وبعث إليه بصرة فيها خردل ، وأعلمه في ذلك أن ما بعث به إليه قليل ولكنه مُر حريف وأن جنوده مثله فلما وصل كتابه إلى دارا تَهَبَ لمحاربتة .

وقد زعم بعض العلماء بأخبار الأولين أن الاسكندر الذي حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر- (1) كان تزوج أم الاسكندر وهي ابنة ملك الروم ، فلما حملت إليه وجد نتن ريحها وسهكها فأمر أن يحتال لذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر ، فنسلت بمائها فأذهب ذلك كثير

من ننتها ولم يذهب كله ، وانتهت نفسه عنها فَرَدَهَا إلى أهلها ، وقد علقت منه ، فولدت في أهلها غلاماً ، فسُمته باسم الشجرة التي غسلت بمائها

= تكونت يقرب مقدونية وحدة سياسية بزعامة أسرة إغريقية الثقافة اتخذ رؤساؤها لقب ملك ، وزعموا أنهم ينحدرون من سلالة الآلهة الإغريقية . خضعت مقدونية للفرس في القرن الخامس ق . م لكنها لم تشترك في الحروب الفارسية . اهتم ملوك مقدونية من عهد الإسكندر الأول بفتح بلادهم للحضارة الإغريقية .

ووسع فيليب الثاني (359 - 336 ق . م) رقعة مقدونية ، فأصبحت أقوى دولة بشبه جزيرة البلقان وباتتصاره على الإغريق في موقعة خايدونيا 338 ق . م أصبح سيد بلاد الإغريق . ثم خلفه ابنه الاسكندر الأكبر .

(1) أغرب ما في هذه الحكاية أن الاسكندر معروف انسب ، وكانُ الفرس عَزَّ عليهم أن يقهر ملكهم رجل من غيرهم فاختلقوا هذه الحكاية ليكون الغالب والمغلوب منهم . (م) .

مضافاً إلى اسمها ، وقد هلك أبوها ، وملك الاسكندر بعده
فمنع الخراج الذي كان يؤديه جده الى دارا فأرسل يطلبه ،
وكان بيضاً من ذهب ، فأجابه : إني قد ذبحت الدجاجة التي
كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها ، فإن أحببت وادعناك
، وإن أحببت ناجزناك .

ثم خاف الإسكندر من الحرب فطلب الصلح ، فاستشار
دارا أصحابه فأشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه ، فعند
ذلك ناجزه دارا القتال فكتب الإسكندر إلى حاجبي دارا
وحكهما على الفتك بدارا فاحتكما شيئاً ولم يشترطا
أنفسهما .

فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه في الوقعة وكانت
الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ، وَلَجَّهُ الاسكندر
وهو بآخر رَمَق ، وقيل : بل فتك به رجلان من حرسه من أهل
همدان حباً للراحة من ظلمه ، وكان فتكهما به لما رأيا
عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بأمر الإسكندر ، وكان قد
أمر الإسكندر منادياً ينادي عند هزيمة عسكر دارا أن يؤسر
دارا ولا يقتل ، فأخبر بقتله فنزل إليه وَمَسَحَ التراب عن
وجهه وجعل رأسه في

حِجْرِهِ وقال له : إنما قتلك أصحابك وإنني لم أهم بقتلك
قط ، ولقد كنت أرغب بك يا شريف الأشراف ويا ملك الملوك
وحر الأحرار عن هذا المصراع فأوص بما أحببت .

فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته " روشنك " ويرعى حقها
ويعظم قدرها ويستبقي أحرار فارس ويأخذ له بثاره ممن
قتله ، ففعل الإسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبي دارا ، وقال

لهما: إنكما لم تشترطا نفوسكما فقتلها بعد أن وَقَى لهما
بما ضمن لهما.

وقال : " ليس ينبغي أن يستبقى قاتل الملوك إلا بذمة لا
تخفر " .

وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلي الخزر ، وقيل :
ببلاد الجزيرة عند دارا .

وكان مُلْك الروم قبل الإسكندر متفرقاً فاجتمع ، ومُلْك
فارس مجتمعاً فتفرق . في وحمل الإسكندر كتباً وعلوماً
لأهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقله إلى الرومية وقد
ذكرنا قول من قال إنّ الإسكندر أخو دارا لأبيه .

وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فيزعمون أنه
الاسكندر بن فيلفوس ، وقيل فيلبوس بن مطريوس ، وقيل
ابن مصريم بن هرمس بن هردس بن ميطنون بن رومي بن

ليطي بن يونان بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن روميظ
بن زنط بن توقيل بن رومي بن الأصفر بن اليفز بن العيص
بن إسحاق بن إبراهيم .

فجمع بعد هلك دارا مُلك دارا؛ فملك العراق والشام
والروم ومصر والجزيرة، وعرض جنده فوجدهم على ما قيل
ألف ألف وأربعمائة ألف رجل ، منهم من جنده ثمانمائة ألف
رجل ، ومن جند دارا ستمائة ألف رجل ؛ وتقدم بهدم حصون
فارس وبيوت النيران ، وقتل الهرايذة وأحرق كتبهم ،
واستعمل على مملكة فارس رجالاً ، وسار قدما إلى أرض
الهند، فقتل ملكها وفتح مدنها، وخرّب بيوت الأصنام ، وأحرق
كتب علومهم ، ثم سار منها إلى الصين فلما وصل إليها أتاه
حاجبه في الليل ، وقال : هذا رسول ملك الصين فأحضره ،
فسَلَّم وطلب الخلوة . ففتشوه فلم يروا معه شيئاً فخرج من
كان عند الاسكندر فقال : أنا ملك الصين جئت أسألك عن
الذي تريده ، فإن كان مما يمكن عمله عملته وتركت الحرب

فقال له الاسكندر : ما الذي آمنتك مني ؟ قال : علمت أنك
عاقل حكيم ، ولم يكن بيني وبينك عداوة، ولا ذحل ، وأنت
تعلم أنك إن قتلتنني لم يكن قتلي سبباً لتسليم أهل الصين
مُلُكي إليك ثم إنك تُنَسَبَ إلى الغدر. فعلم أنه عاقل . فقال
له : أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلاً ونصف
الارتفاع لكل سنة . قال : قد أجبتك ، ولكنك اسألني كيف
حالي ؟ قال : قل كيف حالك ؟ قال : أكون أول قتيل
لمحارب وأول أكلة لمفترس . قال : فإن قنعتُ منك بارتفاع

سنتين ؟ قال : يكون حالي أصلح قليلاً . قال : فإن قنعْتُ
منك بارتفاع سنة . قال : يبقى ملكي وتذهب لَدَاتِي . قال :
وأنا أترك لك ما مضى وأخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون
حالك ؟ قال : يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح
البلاد والسدس لي ، والثلث للعسكر ، والثلث لك . قال : قد
قنعْتُ منك بذلك فشكره وعاد . وسمع العسكر بذلك ففرحوا
بالصلح .

فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط
بعسكر الإسكندر ، فركب الإسكندر والناس ، فظهر ملك
الصين عِلن الفيل وعلى رأسه التاج ، فقال له الاسكندر :
أغدرتُ ؟ قال : لا ، ولكنني أردتُ أن تعلم إنني لم أُطِعَكَ مِنْ
ضعفٍ ، ولكنني لَمَّا رأيت العالم العلوي مقبلاً عليك أردتُ
طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك .

فقال له الاسكندر :لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بيني وبينك مَنْ يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك مِنْ جميع ما أردته منك ، وأنا منصرف . عنك ، فقال له ملك الصين : فلست تخسر، وبعث إليه بضَعْف ما كان قرره معه . وسار الاسكندر عنه من يومه ودانت له عامة الأرضين في الشرق والغرب ومَلَكَ التبت وغيرها .

فلما فرغ من بلاد المغرب والمشرق وما بينهما تصد بلاد الشمال ، ومَلَكَ تلك البلاد ودان له مَنْ يها من الأمم المختلفة إلى أن أتصل بديار يأجوج ومأجوج ، وقد اختلفت الأقوال فيهم ، والصحيح أنهم تَوَعُّ من التَّرك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الأرض ويخربون ما قدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا إليه من شرهم كما أخبر الله عنهم فى قوله ، { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيِّدِينَ } (1) وهما جبلان متقابلان لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرجٍ إلا من الفرجة التي بينهما، فلما بلغ إلى تلك وقارب السدين { وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا } * قَالُوا يَا دَا الْقَرْيِينَ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } (2).

يقول : ما مكني ربي فيه خير من خَرَجكم ولكن أعينوني بالقوة، والقوة الفعلة والصناع والآلة التي يبنى بها . فقال : { أتوني زُبَرَ الْحَدِيدِ } (3) أي قطع الحديد ، فأتوه بها فحفر

الأساس حتى بلغ الماء؛ ثم جعل الحديد والخطب صفوفاً بعضها فوق بعض {حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَقَيْنِ} (4) وهما جبلان أشعل النار في الخطب؛ فحمى الحديد وأفرغ عليه القِطْرُ-وهو النحاس المذاب -فصار موضع الخطب وبين قطع الحديد، فبقي ، كأنه بُردٌ مُخَبَّرٌ من حمرة النحاس وسواد الحديد، وجعل أعلاه شرفاً من الحديد، فامتنتع يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم قال الله تعالى : {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} (5).

(1) الكهف: 93 .

(2) الكهف: 93 - 95 .

(3) الكهف: 96 .

(4) الكهف: 96 .

(5) الكهف: 97 .

فلما فرغ من أمر السد دخل الظُّلمات (1) مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية، فلهذا كانت ظلمة وإلا فليس في الأرض موضع إلا تطلع الشمس عليه أبداً، فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمئة من أصحابه يطلب عَيْن الخُلْد(2) فسار فيها ثمانية عشر يوماً، ثم خرج ولم يظفر بها، وكان الخضر(3) على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها والله أعلم .

ورجع إلى العراق فمات في طريقه بشَهْرُزُور(4) بَعْلَة الخوانيق ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة في تول ، ودفن في تابوت من ذهب مُرَضِع بالجوهر، وطلِّي بالصبر لئلا يتغير وحمل إلى أمه بالاسكندرية .

وكان مُلْكُهُ أربع عشرة سنة، وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكه ، وبنى اثنتي عشرة مدينة منها أصبهان (5) وهي التي يقال لها جَيِّ (6) ، ومدينة هَرَاة(7) ، ومَرُو (8)؛ وسمَرَقَنْد(9) ، وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبأرض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية .

فلما مات الاسكندر أطاف به مَنْ معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فكان يجمعهم ويستريح إلى كلامهم فوقفوا عليه ، فقال كبيرهم : ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعامه واعظاً ووضع يده على التابوت ، وقال : أصبح آسر الأسراء أسيراً؛ وقال آخر : هذا الملك كان يُحِبُّ الذهب فقد صار الذهب

(1) ، (2) هذه القصة من الأساطير التي ليس لها سند

شريعى .

(3) وهذا أيضاً من الخيال القصصى .

(4) شهرزور: كورة واسعة فى الجبال بين اربل وهمدان بفارس ، وأهلها كلهم أكراد .

(5) أصبهان مدينة عظيمة بفارس من أعلام المدن وأعيانها ، وأصبهان - أيضاً - اسم للأقليم بأسره ، وكانت مدنها أولاً جى ثم صارت اليهودية وهى من نواحي الجبل .

(6) قال ياقوت فى معجم البلدان : جى ؛ اسم مدينة اصبهان القديم ، وهى الآن منفردة كالخراب ، وتسمى الآن عند العجم شهرستان وعند المحدثين " المدينة " .

(7) هَراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة إلا أن التار خربوها

نـ

(8) هى أشهر مدن خراسان بينها وبين نيسابور 70 فرسخاً ، وإلى سرخس 30 فرسخاً ، وبها نهر الرزىق ، والشاهجان وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها .

(9) بلد معروف مشهور بما وراء النهر .

يخبؤه ، وقال آخر : ما أزهّد الناس في هذا الجسد؟ وما أرغبهم في التابوت ؟ وقال آخر : مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنَّ الْقَوِيَّ قَدْ عُجِبَ ، وَالضُّعْفَاءُ لَأَهْوَنَ مَغْتَرُّونَ . وقال آخر : هذا الذي جعل أَجْلِهِ ضَمَارًا أو جعل أمله عِيَانًا ، هَلَّا بَاعَدْتَ مِنْ أَجْلِكَ لِتَبْلُغَ بَعْضَ أَمَلِكَ ! بَلْ هَلَّا حَقَّقْتَ مِنْ أَمَلِكَ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ وَفُورِ أَجْلِكَ ! وقال آخر: أَيُّهَا السَّاعِي الْمُنْتَصِبُ جَمَعْتَ مَا حَدَّلَكَ عِنْدَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهِ فغودرت عليك أوزاره ، وقارفت آثامه ، فجمعت لغيرك واثمه عَلَيَّكَ ، وقال آخر : قَدْ كُنْتُ لَنَا وَاعِظًا فَمَا وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً أَبْلَغُ مِنْ وَفَاتِكَ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَعْقُولٌ فَلْيَعْقِلْ ، وَمَنْ كَانَ مَعْتَبِرًا فَلْيَعْتَبِرْ. وقال آخر رَبِّ هَائِبٌ لَكَ يَخَافُكَ مِنْ وَرَائِكَ وَهُوَ الْيَوْمَ بِحَضْرَتِكَ وَلَا يَخَافُكَ . وقال آخر : رَبِّيَّ حَرِيصٌ عَلَنَ سَكُوتِكَ إِذْ لَا تَسْكُتُ وَهُوَ الْيَوْمَ حَرِيصٌ عَلَى كَلَامِكَ إِذْ لَا تَتَكَلَّمُ . وقال آخر : كَمْ أَمَاتَتْ هَذِهِ النَّفْسَ لئِذَا تَمُوتَ وَقَدْ مَاتَتْ ! وقال آخر : وَكَانَ صَاحِبُ كِتَابِ الْحِكْمَةِ : قَدْ كُنْتُ تَأْمُرُنِي أَنْ لَا أَبْعُدَ عَنْكَ فَالْيَوْمَ لَا أَقْدِرُ عَلَى الدُّنُومِ مِنْكَ . وقال آخر : هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَقْبَلَ

مِنْ شَرِّهِ مَا كَانَ مُدْبِرًا ، وَأَدْبَرَ مِنْ خَيْرِهِ مَا كَانَ مُقْبِلًا فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا عَلَى مَنْ زَالَ مُلْكُهُ فَلْيَبْكِ . وقال آخر : يَا عَظِيمُ السُّلْطَانِ اضْمَحِلْ سُلْطَانُكَ كَمَا اضْمَحِلَ ظِلُّ السَّحَابِ ، وَعَفَتْ آثَارُ مَمْلَكَتِكَ كَمَا عَفَتْ آثَارُ الذَّبَابِ . وقال آخر: يَا مَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ طُولًا وَعَرْضًا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ بِمَا اِحْتَوَى عَلَيْكَ مِنْهَا؟ وقال آخر : اعجبوا ممن كان هذا سَبِيلُهُ كَيْفَ شَهِرَ نَفْسَهُ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ الْحَطَامِ الْبَائِدِ وَالْهَشِيمِ الْنَافِدِ؟ وقال آخر : أَيُّهَا الْجَمْعُ الْحَافِلُ وَالْمَلْقَى الْفَاضِلُ لَا

ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح
والرشاد من العَي والفساد. وقال آخر: أنظروا إلى حلم
النائم كيف انقض وظلَّ العَمَّام كيف انجلى . وقال آخر : يا
مَنْ كان غضبه الموت هَلًّا غضبت على الموت ؟ وقال آخر :
قد رأيتم هذا الملك الماضي فليتعض به هذا الملك الباقي .
وقال آخر : إن الذي كانت الأذان تُنصِتُ له قد سكت فليتكلم
الآن كُل ساكت ؛ وقال آخر : سيلحق بك من سرِّه موتك فما
لحقت بمن سرك موته . وقال آخر: ما لك لا تقل عضواً من
أعضائك وقد كنت تستقل بملك الأرض ؟ بل مالك لا ترغب
عن ضيق المكان الذي أنت فيه ؟ وقد كنت ترغب عن رحب
البلاد! وقال آخر : إن دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد أولن
أن يكون في أولها . وقال صاحب مائدته : قد فرشتُ النمارق
ونضدتُ النضائد ولا أرى عميد القوم . وقال صاحب بيت ماله
: قد كنت تأمرني بالادخار فإلى مَنْ أدفع ذخائرك ! وقال آخر
: هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها

في سبعة أشبار، ولو كنت بذلك موقناً لم نحمل على نفسك في الطلب . وقالت زوجته روشنك : ما كنتُ أحسب أن غالب دارا يُعَلَبُ فان الكلام الذي سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكأس الذي شرب به ليشربه الجماعة. وقالت أمه حين بَلَغَهَا مَوْتُهُ : لئن فقدتُ مِن ابني أمره لم يفقد من قلبي ذكره .

فهذا كلام الحكماء، فيه مواعظ وِحَمَّ حسنة فهذا أثبتُّها .
ومن جَيْل الاسكندر في حروبه أنه لما حارب دارا خرج إلى بَيْنَ الصفيين وأمر منادياً فنادي : يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم إلينا وما كتبنا إليكم مِن الأمان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فإنه يرى منها الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضاً واضطربوا .

ومن حيلة أنه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرتُ خيلُ أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى أَلِقَتْها، ثم عاد إلى الهند. فخرج إليهم ملك الهند. فأمر الاسكندر بتلك الفيلة فمُلِئَتْ بطونها من النفط والكبريت . وجرت على العَجَلِ إلى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر بأشعال النار في تلك الفيلة . فلما حميت انكشف أصحابه عنها، وغشيتها فيلة الهند فضربتُها بخراطيمها فاحترقت ، وولت هاربة راجعة عِلن الهند فانهمزوا بين يديها.

ومن حيله أنه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الأوقات ، وبها عيون ماء فعاد عنها فأرسل إليها قوماً على

هيئة التجار، ومعهم أمتعة يبيعونها، وأمرهم بمشترى الطعام
والمغلاة في ثمنها ، فإذا صار عندهم أحرقوه وهربوا .
ف فعلوا ذلك وهربوا إليه ، فأنفذ السرايا إلى سواد تلك
المدينة ، وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد
ليحتموا به ، فسار الإسكندر إليهم فلم يمتنعوا عليه .
وكتب إلى أرسطاطاليس يذكر له أنّ من خاصة الروم
جماعة س لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة، وأنه
يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة . فكتب إليه
أرسطاطاليس فهِمَّت كتابك فإنّ ما ذكرت من بعد هممهم
فإنّ الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس . والغدر من دناءة
النفس وخبثها. وأما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت
هذه . حاله فرَفَهُ في معيشته وأخصه بِحِسَان النساء، فإنّ
رفاهية العيش تميمت الشجاعة

وتحبب السلامة ، وإياك والقتل فإنه زَلَّةٌ لا تُسْتَقَالُ ، وَدَنْبٌ لا يُعْفَرُ ، وَعَاقِبٌ بدون القتل تكن قادراً على العفو فما أحسن العفو من القادر. وليحسن حُلُقُكَ تخلص لك النيات بالمحبة، ولا تؤثر نفسك على أصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة .

وكتب إلى أرسطاطاليس أيضاً لما مَلَكَ بلاد فارس يذكر له أنه رأى بإيران شهر رجالاً ذوي رأيٍ ، وصَرَامة ، وشجاعة ، وجمال ، وأنساب رفيعة ، وإنه إنما ملكهم بالحظ والإنفاق ، وإنه لا يأمن - إن سافر عنهم ففارقهم - وثوبهم وأنه لا يكفي شرهم إلا بيوارهم .

فكتب إليه قد فهمتُ كتابك في رجال فارس ، فأما قتلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا يؤمن عاقبته ولو قتلتم لا ثبت أهل البلد أمثالهم ، وصار جميع أهل البلد أعداءك بالطبع وأعداء عَقِبِكَ لأنك تكون قد وترتهم في غير حرب ، وأما إخراجك إياهم من عسكري فمخاطرة بنفسك وأصحابك ولكني اشير عليك برأي هو أبلغ من القتل ، وهو أن تستدعي منهم أولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم مَلِكاً برأسه ، فتُفَرِّقُ كَلِمَتَهُمْ؛ ويقع بِأَسْهُمِ بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ، ويرون أنفسهم صنيعتك (1).

ف فعل الإسكندر ذلك ، فَهَمُّ ملوك الطوائف ، وقيل في ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره إن شاء الله.

* * *

(1) وهذه خطة المستعمرين في كل زمان ومكان " وهي أيضاً خطة أعداء المسلمين التي فرقوا بها بينهم وجعلوا دولتهم العظمى شذراً مذبذباً فهم الذين عمدوا إلى الدولة الإسلامية التي كانت تمتد من المحيط الهادي شرقاً حيث الهند والصين إلى المحيط الأطلنطي غرباً حيث بلاد المغرب فقسموها بين الانجليز والفرنسيين والإيطاليين ثم غرماً وجدوا أن الأمر لن يدوم لهم لأن قبضتهم حتماً ستضعف يوماً عن كل دولة لملك يحكمها ومنذ ذلك الحين لم تفلح الجهود في جمع شمل دولتين فقط من دويلات الوطن الإسلامي الكبير ولن يجمع الله شمل هذه الأمة إلا بدينها فهو تبارك وتعالى القائل: { لو اتفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم } .
ورحم الله من قال قديماً: (لن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) .

ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر

لَمَّا مات الإسكندر عُرضَ الملكَ عَلَن ابنه الاسكندروس ، فأبن واختار العبادة فملكته اليونان فيما قيل بطليموس بن لاغوس ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس فيلادلفوس وكان ملكه أربعين سنة، ثم ملك بعده بطليموس اورغاطس أربعاً وعشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس فيلافطر إحدى وعشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس أيبفانس اثنتين وعشرين سنة . ثم ملك بعده بطليموس أورغاطس تسعاً وعشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس ساطر سبع عشرة سنة، ثم ملك بعده بطليموس الاخشدر إحدى عشرة سنة، ثم ملك بعده بطليموس الذي اختفى عن ملكه ثمانى سنين ، ثم ملكته بعده كيلوباترا سبع عشرة سنة وكانت من الحكماء، وهؤلاء كلهم من اليونان .

وكل من كان بَعْد الإسكندر كان يُدْعَن بطليموس كما كانت تدعى ملوك الفرس أكاسرة وملوك الروم قياصرة . وقد ذكر بعض العلماء أن بطليموس صاحب المجسطي وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك ، وإنما كان أيام ملوك الروم على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ثم ملك الشام فيما بعد كيلوباترا ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين . ثم ملك بعده أغسطوس ستاً وخمسين سنة، فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وقيل : كان بين مولده وقيام الإسكندر ثلاثمائة سنة وثلاث سنين .



ذُكِرَ أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف

لَمَّا مات الإسكندر مَلَكَ بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف ،
وقد تقدم ذكر السبب في تمليكهم ، وقيل : كان. السبب في
ذلك أنَّ الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ، ووصل إلى ما أراد
كَتَبَ إلى أرسطاطاليس الحكيم :

" إني قد وترتُ جميع من في بلاد المشرق وقد خشيتُ أن
يتفقوا بعدي على قصد بلادنا وإيذاء قومنا وقد هممت أن
أقتل أولاد مَنْ قتلْتُ من الملوك وألحقهم بآبائهم فما ترى؟
فكتب إليه : إنك إن قتلت أبناء الملوك أفض الملك إلى
السفل والأندال ،

والسفل إذا ملكوا قذروا ، وإذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا
، وما يخشى من معرفتهم أكثر، والرأي أن تجمع أبناء الملوك
فتملك كل واحد منهم بلداً واحداً وكورة واحدة ، فإن كل
واحد منهم يقوم في وجه الآخر يمنعه عن بلوغ غرضه خوفاً
على ما بيده ، فتتولد العداوة بينهم فيشتغل بعضهم ببعض،
فلا يتفرغون إلى من بعد عنهم .

فعندها قَسَمَ الإسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف
وتَقَلَّ عن بلدانهم النجوم والحكمة، وكان مِنْ حالهم بعد
الاسكندر ما ذكره ارسطاطاليس واشتغلوا عن قَصْدِ اليونان

وكان أرسطاطاليس من أفضل الحكماء وأعلمهم ، وكان
الاسكندر يصدر عن رأيه ، وأخذ الحكمة عن أفلاطون (1)
تلميذ سقراط (2) وسقراط تلميذ أوسيلوس في الطبيعيات
دون غيرها - ومعناه رأس السباع - : وكان أوسيلوس تلميذ

انكساغورس إلا أن أرسطاطاليس خالف أستاذه في عدة مسائل فلما قيل له في ذلك ، قال : " أفلاطون صديق والحق صديق إلا أن الحق أولى بالصدقة منه "

(1) افلاطون_ (حوالى_ 27 4 - 347 ق. م.) :
فيلسوف يونانى ، تتلمذ على سقراط . وله عدة مؤلفات
عبارة عن محاورات ومن أشهر مؤلفاته (الجمهورية) فى
الدولة المُثلى القائمة على العدل . (وهو واهم فمثل هذه
الدولة المثالية لا تقوم إلا فى ظلال الإسلام) .

(2) سقراط_ (4 69 - 39 9 ق. م.) فيلسوف يونانى
، من أثينا ، لم يترك أثراً مكتوباً لكن سجل حياته وتعاليمه
تلميذه افلاطون فى محاوراته ، واكسانوفون فى مذكراته

وقد اختلف العلماء في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا إقليم بابل ، فقال هشام بن الكلبي وغيره ملك بعد الإسكندر بلاقس سلبقيس ، ثم انطيوخس وهو الذي بنى مدينة أنطاكية(1)؛ وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة أربعاً وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس.

* * *

ذكر ملك اشك بن أشكان

ثم خرج رجل يقال له أشك وهو من ولد دارا الأكبر وكان مولده ومنشأه بالري (2) فجمع جمعاً كبيراً وسار يريد أنطيوخس وزحف إليه أنطيوخس والتقيا ببلاد الموصل فقتل أنطيوخس وملك أشك السواد وصار بيده من الموصل إلى الري وأصبهان ، وعَظَمَتْهُ سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله وبدأوا به في كتبهم وسموه ملكاً من غير أن يعزل أحداً منهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن أشك .

* * *

ذكر ملك جودرز

ثم ملك بعد سابور جودرز اشكان وهو الذي غزا بني اسرائيل في المرة الثانية ، وسبب تسليط الله إياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فأكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورفع الله منهم النبوة وأنزل بهم الذل.

وقيل : إن الذي غزا بني اسرائيل طيطوس بن اسفانوس ملك الروم ، فقتلهم

(1) مدينة انطاكية جنوب تركيا (حالياً) على نهر العاصي عند سفح سيلبيوس ، تقع عند ملتقى الطرق الممتدة من

الفرات إلى البحر المتوسط ومن البقاع إلى آسيا الصغرى
، سقطت في قبضة الفرس 538م ، وفتحها المسلمون سنة
637 م وخضعت للإمبراطورية البيزنطية (969 -
1085) ، وللسلاجقة الأتراك (1085 - 1098) ،
واستولى عليها الصليبيون 1098 ، واستولى عليها المماليك
المصريون 1268 ، العثمانيون 1516 ، انتقلت إلى سورية
1920 لكنها أعطيت لتركيا ضمن سنجق الاسكندرونة تشغل
أنطاكية اليوم جزء من المدينة القديمة وما زالت بقايا من
أسوارها وقناطرها ومسرحها وقلعتها باقية .

(2) الري مدينة شهيرة بفارس من أمهات البلاد وأعلام
المدن تقع أطلالها (حالياً) على بعد 8 كم جنوب شرق
طهران بإيران .

وسباهم ، وخرّب بيت المقدس ، وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثأر أنطيوخس ، وملك بابل حينئذ بلاش أبو أردوان الذي قتله اردشير بن بابك فكتب بلاش إلى ملوك لم الطوائف يعلمهم ما أجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وأنه إنّ عجز عنهم ظفروا بهم جميعاً فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال لم والسلاح والمال بقدر قوته ؛ فاجتمع عنده اربعمائة ألف رجل ، فولى عليهم صاحب الحضر، وكان له ما بين السواد والجزيرة فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم وذلك الذي هيج الروم على بناء القسطنطينية، ونقل الملك من رومية إليها، وكان الذي أنشأها قسطنطين الملك : وهو أول من تنصر من ملوك الروم : وأجلى من بقي من بني اسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم : وأخذ الخشبة التي يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم . وأدخلوها خزائنتهم وهي عندهم إلى اليوم . ولم يرك ملك فارس متفرقاً حتى ملك أردشير بن بابك : ولم يبين هشام مدة ملكهم .

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملك بلادهم بعد الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل وهم الأشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف ، وكان ملكهم مائتي سنة : وقيل : كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن أشكان عشرين سنة . ثم ابنه سابور ستين سنة وفي احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام : وأن تيطوس بن

اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح : بنحو من أربعين سنة، فملك المدينة قتل وسبى وأخرب المدينة، ثم ملك جودرز بن اشغان الاكبر عشر سنين ، ثم ملك بيرن الاشغاني إحدى وعشرين سنة، ثم ملك جودرز الاشغاني تسعاً وثمانين سنة، ثم ملك نرسي الاشغاني أربعين سنة ، ثم ملك هرمز الأشغاني سبع عشرة سنة ، ثم ملك اردوان الاشغاني اثنتين وعشرين سنة، ثم ملك كسرى الأشغاني أربعين سنة، ثم ملك بلاش الاشغاني أربعاً وعشرين سنة، ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة، ثم ملك اردشير بن بابك .

وقال بعضهم : ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين قرق الاسكندر المملكة بينهم ، وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه طيها ما خلا السواد فإنه س كان أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الاسكندر في يد الروم : وكان في ملوك

الطوائف رجل من نسل الملوك قد مَلَكَ الجبال وأصبهان ، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد ، وكانوا ملوكاً عليها وعلى الماهات والجبال ؛ وأصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف لأن العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده ؟ ولذلك قصد لذكرهم في كتب سير الملوك فاقصرنا على ذكرهم دون غيرهم ، فكانت مدة ملوك الطوائف مائتي سنة وستين سنة، وقيل : ثلاثمائة وأربعاً وأربعين سنة . وقيل : خمسمائة وثلاثاً(1) وعشرين سنة والله أعلم .

فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ، ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد أشك بن جزه وهو من ولد اسفنديار بن بشتاسب في قول ، وبعض الفرس زعم أن أشك بن دارا قال بعضهم : أشك بن أشكان الكبير هو من ولد كيكاووس وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك بعده أشك ابنه احدى وعشرين سنة، ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة، ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين ، ثم ملك ابنه تيري إحدى وعشرين سنة، ثم ملك ابنه جوذرز الأصغر تسع عشرة سنة، ثم ابنه نرسة(2) أربعين سنة، ثم ملك هرمز بن بلاش بن أشكان سبع عشرة سنة، ثم أردوان الأكبر بن أشكان اثنتي عشرة سنة، ثم كسرى بن أشكان أربعين سنة، ثم أردوان الأصغر بن بلاش ثلاث عشرة سنة . وكان أعظم ملوك الأشكانية وأظهرهم وأعزهم قهر للملوك ، ثم ملك أردشير بن بابك وجمع مملكة الفرس علن ما ذكره إن شاء الله ، وقد عد بعضهم في أسماء الملوك غير ما ذكرنا لا

حاجة إلى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك
أردشير بن بابك .

- (1) هذا هو القول المَرَضِي لِأَنَّ الاسكندر مات في
أواخر القرن 4 ق. م. ، وقيام أردشير بن بابك وإزالتة ملوك
الطوائف كان 330 ق. م. - (منيرية) .
- (2) ويقال : (تره سى) - (منيرية) .

ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك

ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام

إنما جمعنا هذين الأمرين العظيمين في هذه الترجمة
لتعلق أحدهما بالآخر فنقول :

[مولد مريم عليها السلام]

كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود ، وكان آل
ماثان رؤوس بني إسرائيل وأخبارهم وكان متزوجاً بحنة بنت
فاقوذ، وكان زكريا بن برخيا متزوجاً بأختها إيشاع، وقيل :
كانت إيشاع أخت مريم بنت عمران - وكانت حنة قد كبرت
وعجزت ولم تلد ولداً ، فبينما هي في ظل شجرة أبصرت
طائراً يزق فرخاً له فاشتتهت الولد فدعت الله أن يهب لها
ولداً ونذرت إن يرزقها ولداً أن تجعله من سَدَنَةِ بيت
المقدس وَحَدَمَتِهِ فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو،
وكان النذر المحرر عندهم أن يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها
ولا يبرح منها حتى يبلغ الحُلْمَ فإذا بلغ حُير فإن أحب أن يقيم
فيها أقام وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء، ولم يكن يُحَرَّرُ
إلا الغلمان لأن الإناث لا يَصْلُحْنَ لذلك لما يصيبهن من الحَيْضِ
والأذى ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم ، فلما وضعتها إذ
هي أنثى فقالت عند ذلك : رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى وَاللَّهِ أَعْلَمُ
بِمَا وَصَّعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى { (1) في خدمة الكنيسة
والعباد الذين فيها { وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ } (2) وهي بلغتهم
(العبادة)، ثم لَفَتْهَا فِي خِرْقَةٍ وَحَمَلْتَهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَوَضَعْتُهَا
عِنْدَ الْأَحْبَارِ أَبْنَاءِ هَارُونَ وَفَمِ يَلُونَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَا يَلِي
بَنُو شَيْبَةَ مِنَ الْكَعْبَةِ، فقالت : دونكم هذه المنذورة فتنافسوا
فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قُرْبَانِهِمْ فقال زكريا : أنا أحقُّ

بها لأنَّ خالتها عندي . فقالوا : لكننا نقترع عليها فألقوا
أقلامهم في نهر جَارٍ - قيل هو نهر الأردن فألقوا فيه أقلامهم
التي كانوا يكتبون بها التوراة - فارتفع قلم زكريا فوق الماء

ورسبت

(1) ، (2) آل عمران: 36 .

أقلامهم ، فأخذها وكَفَلَهَا وضمَّها إلى خالتها أم يحيى ، واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة في المسجد لا يُزَقَى إليها إلا بسُتْم ، ولا يصعد إليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فيقول : أنى لك هذا؟ فتقول {هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} (1).

[يحيى بن زكريا عليه السلام]

فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، فقال : إِنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِمَرِيَمَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُصَلِّحَ زَوْجَتِي حَتَّى تَلِدَ ، ف { قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } (2) . فبينما هو يصلي في المذبح الذي لهم ، فإذا هو برجل شاب هو جبريل ففرع زكريا منه ، فقال له : { إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ } يعني عيسى بن مريم عليه السلام ، ويحص أول من آمن بعيسى وصدقته؛ وذلك أن أمه كانت حاملاً به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى ، فقالت : لها يا مريم أحامل أنت ؟ فقالت : لماذا تسأليني ؟

قالت : لِمَا أَنِي أَرَى مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكَ فَذَلِكَ تَصَدِيقُهُ . وقيل : صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين . وسماه الله تعالى يحيى ولم يكن قبله مَنْ تَسَمَّى بهذا الاسم ، قال الله تعالى : { لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا } (3) وقال تعالى : { وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا } (4) قيل : أوحش ما يكون ابن آدم في هذه الأيام الثلاثة فسَلَّمَهُ اللهُ تعالى من وحشتها، وإنما ولد يحص قبل

المسيح بثلاث سنين (5). وقيل : بستة أشهر، وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان .

{قَالَ رَبُّ أَنى يَكُونُ لى غلام وَقَد بَلَغَتى الكَبْرُ وَامْرَأَتى عَاقِرٌ} (6) وكان عمره اثنتين وتسعين سنة، وقيل : مائة وعشرين سنة . وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة. فقيل

(1) آل عمران: 37 .

(2) آل عمران: 38 .

(3) مريم: 7 .

(4) مريم: 15 - وفى المطبوعة (والسلام) ؟

(5) وقد تقدم حكاية انهما كانتا حاملتين معاً وأن يحيى

كان يسجد فى بطن أمه لعيسى فى بطن أمه - عليهم السلام

(6) آل عمران: 40 - وفى المطبوعة (ولد) بدل

(غلام) ؟

له : { كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } (1) . وإنما قال ذلك استخباراً هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها لا إنكاراً لِقُدْرَةِ الله تعالى : { قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ : آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا } (2). قال : أمسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية، والرمز الإشارة، فلما ولدَ رآه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الأصابع ، مقرون الحاجبين ، دقيق الصوت ، قوياً في طاعة الله مذ كان صبيّاً، قال الله تعالى : {وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } . قيل : إنه قال له يوماً الصبيان أمثاله : يا يحمض اذهب بنا نلعب ، فقال لهم : ما للعب خُلُقْتُ .

وكان يأكل العُشْبَ وأوراق الشجر، وقيل كان يأكل خبز الشعير. ومَرَّ به إبليس ومعه رغيف شعير، فقال : أنت تزعم أنك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير، فقال يحيى : يا ملعون هو القُوت . فقال إبليس : إِنَّ الأقل من القوت يكفي لمن يموت . فأوحى الله إليه اعقل ما يقول لك .

وُتْبِيَاءَ صغيراً فكان يدعو الناس إلى عبادة الله ، ولُبْسِ الشَّعْرِ، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن إليه أينما جَنَّهُ الليلُ أقام ، ولم يكن له عبد ولا أمةً واجتهد في العبادة، فنظر يوماً إلى بَدَنِهِ وقد نحل فبكى ، فأوحى الله إليه يا يحيى أتبكي لما نحل من جسمك ! وعزتي وجلالي لو اطلعت في النار اطلاعةً لتدرعت الحديد عِوَضَ الشعر. فبكن حتى أكلت الدموع لحم خديه ، وبدت أضراسه للناظرين .

فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه ، وأقبل زكريا ومعه الأحبار، فقال : يا بني ما يدعوك إلى هذا . قال : أنت أمرتني بذلك

حيث قلت : إنّ بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها إلا البكاؤون
من خشية الله . فقال : فابك واجتهد إذن . فصنعت له أقبه
قطعتي لبد على خديه ثواري أضراسه ، فكان يبكي حتى
يبلهما . وكان زكريا إذا أراد أن يعظ الناس نظر فإن كان
يحمى حاضراً لم يذكر جنة ولا ناراً.

وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة . فكان
مما نسخ أنه حرم نكاح بنت الأخ . وجمان لملكهم واسمه
هيرودس بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها فنهاه

(1) آل عمران: 40 .

(2) آل عمران: 41 .

يحيى عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها . فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا سألك الملك ما حاجتك فقولني : أنْ تذبح يحيى بن زكريا(1) .

فلما دخلتْ عليه وسألها ما حاجتك ؟ قالتْ أريد أن تذبح يحيى بن زكريا فقال : سلي غير هذا . قالت : ما أسألك غيره . فلما أبت دعا بيحيى ودعا بطست فذبحه فلما رأت الرأس قالت : اليوم قَرْتُ عيني . فصعدت إلى سطح قصرها ، فسقطت منه إلى الأرض ولها كلاب ضاربة تحته ؛ فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظر ، وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر؛ فلما قتل بذرت قطرة من دمه على الأرض فلم تنزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم (2) فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم ، فألقى الله في قلبه أن يَقْتُلَ منهم عَلم ذلك الدم حتى يسكن ، فقتل منهم سبعين ألفاً حتى سكن الدم .

وقال السدي نحو هذا غير أنه قال : أراد الملك أنْ يتزوج امرأة له ، فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى ، فأرسل إليه فقتله ، وأحضر رأسه في طست وهو يقول له لا تحل لك . فبقي دمه يغلي في ح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة فلم يسكن الدم . فسلط الله عليهم بختنصر في جَمْعٍ عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم ، فأراد الرجوع فأتته امرأة من بني اسرائيل ، فقالت : بلغني أنك تريد العود. قال : نعم ، قد طال المقام وجاع الناس وقَتَّت الميرة بهم وضاق عليهم ، فقالت : إنْ فتحتُ لك المدينة أتقتل مَنْ امْرَأَتِكَ بقتله وتكف إذا أمرتك ؟

قال : نعم . قالت : اقسام جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء ، وقولوا : اللهم إنا نستفتحك علن دم يحيى بن زكريا ففعلوا ، فخرّب سور المدينة فدخلوها فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن ، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم فأمرته بالكف وكف .

(1) الذی فی متی : 14 ، لوقا : 3 : أن هيرودوس لما تزوج هيروديا امرأة فيلبس أخيه اعترض عليه يحيى فحبسه ، وني حفلة ولادة هيرودوس رقصت ابنته فأرضته وأرضت الحاضرين فوعدها ب نفاذ ما تطلب فكلفته - بناء على إيعاز والدتها - بقطع رأس يحص ووضعه في طبق فأمر بقطع رأسه في السجن وهو كاره ولكن فعل تنفيذاً لوعده . - (منيرية) .

(2) تخريف ما بعده تخريف فأين يختنصر الذي في سنة 606 ق . م من يحيى الذي ولد في أول عام للميلاد . (م)
وشرده - أيضاً - المصنف نفسه هنا .

وَحَرَّبَ بيت المقدس ، وأمر أن تلقى فيه الجِيف ، وعاد
ومعه دانيال وغيره من وجوه بني اسرائيل منهم عزريا
وميشائيل ورأس الجالوت ، فكان دانيال أكرم الناس عليه ،
فحسدهم المجوس وسعوا بهم إلى بختنصر وذكر نحو ما
تقدم من إلقائهم إلى السَّيِّع ونزول الملك عليهم ، ومسح
بختنصر ومقامه في الوحش سبع سنين .

وهذا القول وما لم نذكره من الروايات من أن بختنصر هو
الذي حَرَّبَ بيت المقدس ، وَقَتَلَ بني إسرائيل عند قتلهم
يحيى بن زكريا باطل عند أهل السير والتاريخ ، وأهل العلم
بأمور الماضين ، وذلك أنهم أجمعون مجمعون علن أن
بختنصر غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبهم شعيا في عهد
أرميا بن حلقيا، وبين عهد أرميا وقتل يحمص أربعمئة سنة
وإحدى وستون سنة(1) عند اليهود والنصارى ويذكرون أن
ذلك في كتبهم وأسفارهم مُبَيَّن ، وتُؤَافِقُهُمُ المجوس في
مدة غزو بختنصر بني إسرائيل إلى موت الإسكندر وتخالفهم
في مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيى ، فيزعمون أن
مدة ذلك كانت إحدى وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : الحق أن بني اسرائيل عَمَّرُوا
بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل وكثروا ، ثم عادوا
يحدثون الأحداث ويعود الله سبحانه وتعالى عليهم ، ويبعث
فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون ، حتى كان آخر
مَنْ بَعَثَ اللَّهُ فيهم زكريا وابنه يحيى وعيسى بن مريم عليهم
السلام فقتلوا يحمص وزكريا، فابتعث الله عليهم ملكاً من
ملوك بابل يقال له : جودرس ، فسار إليهم حتى دخل عليهم

الشام ، فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من
عسكره اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل : إني كنت حلفت
لئن أنا طفرت بيني اسرائيل لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في
وسط عَسْكَرِي إِلَّا أَنْ لَا أَجِدَ مَنْ أَقْتَلُهُ ، وأمره أَنْ يَدْخُلَ
المدينة ويقتلهم حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فدخل نبوزاذان المدينة
، فأقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم فوجد دماً يغلي
، فقال : يا بني اسرائيل . ما شأن هذا الدم يغلي ؟ فقالوا :
هذا دم قربان لنا لم يُقْبَلْ فلذلك هويغلي . فقال : ما
صدقتموني الخبر. فقالوا : إنه قد انقطع منا الملك والنبوة
فلذلك لم يقبل منا . فذبح منهم على ذلك الدم سبعمئة
وسبعين رجلاهم من رؤوسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمئة من
علمائهم ، فذبحوا عن الدم فلم يهدأ .

(1) بل أكثر من خمسمئة سنة (م).

فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم : يا بني اسرائيل اصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون ما شئتم قبل أن لا أدع منكم نافخ نار ولا ذكراً الا قتلته . فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر، وقالوا : هذا نبي كان ينهانا عن كثير [م] ما يسخط الله وبخبرنا بخبركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دَمُهُ .

فقال : ما كان اسمه ، قالوا : يحيى بن زكريا. قال : الآن صدقتموني لمثل هذا انتقم ربكم منكم . وخر ساجداً، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة واخرجوا من ههنا مِنْ جيش جودرس . ففعلوا وخلا في بني اسرائيل ، ثم قال للدم : يا يحيى قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك مِنْ أجلك وما قتل منهم فاهداً بإذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد . فسكن الدم ورفع نبوزاذان القتل ، وقال : آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره .

ثم قال لبني اسرائيل : إن جودرس أمرني أن أقتل فيكم حتّى تسيل دماؤكم في عسكره ، ولست أستطيع أن أعصيه . قالوا : افعل فأمرهم أن يحفروا حفيرة، وأمر بالخيول ، والبغال والحمير، والبقر، والغنم ، والابل فذبحها حتى كثر الدم وأجرى عليه ماءً، فسال الدم في العسكر، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم ، فألقوا فوق المواشي ، فلما نظر جودرس إلى الدم قد بلغ عسكره أرسل إلى نبوزاذان أن ارفع القتل عنهم ، فقد انتقمت منهم بما فعلوا ، وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني اسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم {وَقَصَّيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ

لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا * قَالُوا جَاءَ وَعَدُّ
أَوْلَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمَا
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ
أَحْسَنَّا لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ
لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تُبَّيْرًا * وَعَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم وَإِنْ عُذْتُمْ
عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا { (1) وعسى من الله
حق . وكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ، ثم رد الله
سبحانه لهم الكرة ، ثم كانت الوقعة الأخيرة جودرس وجنوده
، وكانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب

(1) الإسراء: 4 : 8 .

بلادهم وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسأئهم يقول الله تعالى : { وليتبروا ما علوا تتبيراً } (1).

وزعم بعض أهل العلم : أن قتل يحيى كان أيام أردشير بن بابك. (2) . وقيل : كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم.

* * *

(1) إن الذي خَرَّبَ بيت المقدس الخراب الثاني هو طيطوس الروماني - (م) .

(2) هذا خطأ فان أردشير وَحد المملكة الفارسية سنة

320 ق. م. :-

ذكر قتل زكريا

لما قتل يحيى وسمع أبوه بقتله قَرَّهَارِباً فدخل بُسْتَاناً عند بيت المقدس فيه أشجار، فَأَرْسَلَ الملك في طلبه ، فمر زكريا بالشجرة، فنادته هلم إلي يا نبي الله فلما أتاها أنشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقي في وسطها، فأتى عدو الله إبليس فأخذ هذب رداءه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه إذا أخبرهم ، ثم لقي الطلب فأخبرهم ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا نلتمس زكريا. فقال : إِنَّه سَحَرَ هذه الشجرة فانشقت له فدخلها. قالوا لا نصدقك . قال : فإن لي علامة تصدقوني بها فأراهم طرف رداءه ، فأخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة اثنتين وشقوها بالمنشار فمات زكريا فيها. فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم به منهم (1). وقيل إن السبب في قتله ، أن إبليس جاء إلى مجالس بني اسرائيل ، فقذف زكريا بمريم وقال لهم : ما أحبلها غيره ، وهو الذي كان يدخل عليها . فطلبوه فهرب وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم (2).

* * *

(1) ، (2) هذه القصة باطلة لا وزن لها ولا دليل عليها.

ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته إلى آخر أمره

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف ، قالت المجوس :
كان ذلك بعد خمس وستين من سنة غَلَبَةِ الإسكندر على
أرض بابل (1) وبعد إحدى وخمسين سنة مضت من ملك
الأشكانيين .

وقالت النصارى : إن ولادته كانت لمضي ثلثمائة وثلاث
وستين سنة (2) من وقت غلبة الاسكندر على أرض بابل ،
وزعموا أن مولد يحمى كان قبل مولد المسيح بستة أشهر
وأنّ مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة
-وقيل خمس عشرة، وقيل عشرين - وأن عيسى عاش
إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياماً ، وأن مريم عاشت
بعده ست سنين فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة،
وأن يحيى قتل قبل أن يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة
والرسالة وعمره ثلاثون سنة .

وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة وكانت هيّ وابن
عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة
الكنيسة، وكان يوسف حكيماً نجاراً يعمل بيديه ويتصدق
بذلك ، وقالت النصارى : إنّ مريم كان قد تزوجها يوسف ابن
عمها إلا أنه لم يقربها إلا بعد رفع المسيح (3) والله أعلم .

(1) هذا غلط والصحيح أن ذلك كان بعد الإسكندر بأكثر
من ثلاثمائة سنة - (م) .

(2) وهذا أيضاً غلط لأن المدة أقل من ذلك بقليل . . .
(منيرة) .

(3) هذا يخالف ما فى مرقس 6 : 3 ونصها :

(أليس هذا هو النجار بن مريم وأخو يعقوب وموسى
ويهوذا وسمعان !! أليست أخواته ههنا عندنا؟).
وفى متى 13 : 46 : (وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه
وأخواته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه . فقال لهم :
واحد هوذا أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك .
فأجاب وقال للقائل له . مَنْ هي أُمِّي ؟ وَمَنْ هم أخوتي ؟ ثم
مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أُمِّي وأخوتي) .

وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كُلُّ واحد منهما قُلْتَهُ وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرائيل نفذ ماؤها، فقالت ليوسف : ليذهب معها إلى الماء . فقال : عندي من الماء ما يكفيني إلى غد، فأخذت قُلْتَهَا وانطلقت وَحَدَّهَا حتى دخلت المغارة، فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها (بَشْرًا سَوِيًّا)، فقال لها :

يا مريم إِنَّ الله قد بعثني اليك { لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا } (1) قَالَتْ : { أَنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنَّ كُنْتُ تَقِيًّا } (2) أي مطيعاً لله ، وقيل : هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلاً { قال : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } (3) أي زانية . { قَالَ : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ } إلى قوله : { أَمْرًا مَقْضِيًّا } (4) .

فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله ، فنفخ في جَيْبِ درعها، ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح ، وملاّت قلتها، وعادت ، وكان لا يُعلم في أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار، وكان معها، وهو أول من أنكر حملها، فلما رأى الذي بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فإذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وأنها لم تغب عنه ساعة قط ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي بها، فلما اشتد ذلك عليه كلمها، فكان أول كلامه لها أن قال لها: إنه قد وقع من أمرك شيء قد حرصت على أن أميته وأكتمه فغلبني . فقلت : قل قولاً جميلاً. فقال : حدثيني هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت : نعم . قال : فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه ؟ قالت : نعم . قال :

فهل يكون ولد بغير ذكر؟ قالت له : نعم . ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه بغير بذر! ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر! وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحدة منها وحده . أو تقول لن يقدر الله على أن ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر.

قال يوسف : لا أقول هكذا، ولكني أقول : إن الله يقدر

على ما يشاء إنما يقول

(1) مريم: 19 .

(2) مريم: 18 .

(3) مريم: 18 : 19 .

(4) مريم: 21 .

لذلك كن فيكون . قالت له :ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى؟ قال : بلى، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله لا يسعه أن يسألها عنه لما رأى من كتمانها له ، وقيل : أنها خرجت إلى جانب الحجرات لحيض أصابها ، فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، فلما طهرت إذا برجل معها وذكر الآيات ، فلما حملت أمتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها ، فقالت امرأة زكريا : إني حُبَلَى . فقالت لها مريم : وأنا أيضاً حبلى ! قالت امرأة زكريا : فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك . وولدت امرأة زكريا يحيى .

وقد اختلف في مدة حَمَلها، فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى، وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره ، وقيل ستة أشهر، وقيل ثلاث ساعات ، وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى : {فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَاصِيًا} (1) عقبه بالفاء.

فلما أَحَسَّت مريم خرجت إلى جانب المحراب الشرقي فأتت أقصاه {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ} (2) وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس {يَا لَيْتَنِي مِثْ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا} (3) تعني نسي ذكري وأثري فلا يُرَى لي أثر ولا عين .

قالت مريم : كنت إذا خلوت حدثني عيسى وحدثته فإذا كان عندنا إنسان سمعتُ تسيحه في بطني . (فَتَادَاهَا) جبرائيل (مِنْ تَحْتِهَا) أي من أسفل الجبل { لَا تَحْزَنِي قَدْ

جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا } (4) وهو النهر الصغير أجراه تحتها.
فَمَنْ قَرَأَ مِنْ تَحْتِهَا بِكَسْرِ الْمِيمِ جَعَلَ الْمُنَادَى جِبْرَائِيلَ ، وَمَنْ
فَتَحَهَا قَالَ : إِنَّهُ عَيْسَى أَنْطَقَهُ اللَّهُ . { وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَذْعِ
النَّخْلَةِ } () كان جذعاً مقطوعاً فهزته فإذا هو نخلة . وقيل :
كان مقطوعاً فلما أجهدتها الطلق احتضنته فاستقام واخضر
وأرطب ف قيل لها : { وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ } فهزته
فتساقط الرطبُ فقال لها : { فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا
تَرَيْنِ مِنْ

(1) مريم: 22 .

(2) ، (3) مريم: 23 .

(4) مريم: 24 .

(5) مريم: 25 .

الْبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِتَرْحَمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا } وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى
يمسي .

فلما ولدته ذهب إبليس (1) فأخبر بني إسرائيل أن مريم
قد ولدت ، فأقبلوا يشتمون بدعوتها ، { قَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ
{(2). وقيل : إن يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوماً.
ثم جاء بها إلى أهلها، فلما رأوها قالوا لها : { يَا مَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْئًا قَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا
كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا } (3) فما بالك أنت ؟ وكانت من نسل هارون
أخي موسى كذا قيل .

قلت : إنها ليست من هارون إنما هي من سبط يهوذا بن
يعقوب من نسل سليمان بن داود، وإنما كانوا يدعون
بالصالحين ، وهارون من ولد لاوى بن يعقوب .
قالت لهم : ما أمرها الله به بعد ذلك ، فلما أرادوها بعد
ذلك على الكلام

{ أَشَارَتْ إِلَيْهِ } فغضبوا ، وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا
من زناها ، { قَالُوا : كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا } (4).
فتكلم عيسى ، فقال : { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْمًا كُنْتُ وَالْوَصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } () فكان أول ما تكلم به العبودية
ليكون أبلغ في الحجة علن من يعتقد أنه إله ، وكان قومها قد
أخذوا الحجارة ليرجموها ، فلما تكلم ابئها تركوها، ثم لم
يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان .

وقال بنو اسرائيل : ما أحبلها غير زكريا فإنه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ، ففر منهم ، ثم أدركوه ، فقتلوه ، وقيل في سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره .

وقيل إنه لما دنا نِقَاسُهَا أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ، فإنهم إن

(1) هذا هراء لا وزن له ولا دليل عليه .

(2) مريم : 27 .

(3) مريم : 27 : 28 .

(4) مريم : 29 .

(5) مريم : 30 : 31 .

ظفروا بك عيرونك وقتلوك وولدك.

فاحتملها يوسف النجار وسار بها إلى أرض مصر فلما
وصلا إلى ثُحوم مصر أدركها المَحَاض فلما -وضعت وهي
محزونة قيل لها { لا تحزني } الآية إلى { إنسيا } فكان
الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء ، وأصبحت الأصنام
منكوسة على رؤوسها، لا وفزعت الشياطين فجاؤوا إلى
إبليس ، فلما رأى جَمَاعَتَهُم سألهم فأخبروه ، فقال : قد 9
حدث في الأرض حادث ، فطار عند ذلك وغاب عنهم ، فمر
بالمكان الذي ولد فيه لا عيسى ، فرأى الملائكة محققين به ،
فعلم أنّ الحادث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى
، فعاد إلى أصحابه وأعلمهم بذلك ، وقال لهم : ما ولدت
امرأة إلا وأنا حاضر وإني لأرجو أن أضل به أكثر ممن يهتدي ،
واحتملته مريم إلى أرض مصر، فمكث اثنتي عشرة سنة
تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكيها .

قلت والقول الأول في ولادته بأرض قومها للقرآن أصح
لقول الله تعالى : {فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ } وقوله : { كيف
نكلم من كان في المهد صبياً }.

وقيل : إنّ مريم حَمَلَتْ المسيح إلى مصر بعد ولادته
ومعها يوسف النجار وهي الرَبوة التي ذكرها الله تعالى ،
وقيل الربوة دمشق ، وقيل بيت المقدس ، وقيل غير ذلك
، فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل ، وكان من
الروم واسمه هيردوس ، فإن اليهود أغروه بقتله ، فساروا
إلى مصر، وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة إلى أن مات ذلك
الملك وعادوا إلى الشام ، وقيل : إن هيردوس لم يرد قتله

ولم يسمع به إلا بعد رفعه وإنما خافوا اليهود عليه والله أعلم

ذكر نبوة المسيح وبعض مُعجزاته

لما كانت مريم بمصر نزلت علن دهقان ، وكانت داره يأوي إليها الفقراء والمساكين فسرق ك مال فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم ، فلما رأى عيسى حُزن أمه قال : أتريدين أن أدله على ماله ؟ قالت : نعم . قال : إنه أخذه الأعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الأعمى المقعد فأخذه. فقبل للأعمى ليحمل المقعد فأظهر العجز، فقال له المسيح : كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال ! فاعترفا وأعاداه .

ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك ، فلما رآه عيسى دخل

بيناً للدهقان فيه صفان من جرار، فأمرَّ عيسى بيده على أفواهاها وهو يمشي . فامتلات شراباً وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة. - وكان في الكُّتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلوهـم وبما كانوا يأكلون - قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله . فألقاه بين رجلي المسيح متلطحاً بالدم فانطلقوا به إلى الحاكم في ذلك البلد، فقالوا : قتل صيياً . فسأله الحاكم فقال : ما قتلته . فأرادوا أن

يبطشوا به . فقال : ائتوني بالصبي حتى أسأله مَنْ قتله . فتعجبوا من قوله وأحضروا عنده القليل ، فدعا الله فأحياه ، فقال : مَنْ قتلك. فقال : قتلني فلان -يعني الذي قتله . فقال بنو إسرائيل للقتيل : مَنْ هذا. قال هذا : عيسى بن مريم . ثم مات الغلام من ساعته .

وقال عطاء سَنَمَتْ مريم عيسى إلى صباغ يتعلم عنده ، فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة، فقال للمسيح : هذه ثياب مختلفة الألوان ، وقد جعلتُ في كل ثوب منها خيطاً على اللون الذي يصبغ به فاصبغها حتى أعود مِنْ حاجتي هذه.

فأخذها المسيح وألقاها في جُبِّ واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال : صبغتها. فقال : أين هي ؟ قال : في هذا الجب . قال : كلها؟! قال : نعم. قال : لقد أفسدتها علن أصحابها - وتغيظ عليه . فقال له المسيح : لا تعجل وانظر إليها - وقام وأخرجها كل ثوب منها على اللون الذي أراد صاحبه ، فتعجب الصباغ منه ، وعلم أن ذلك من الله تعالى .

ولما عاد عيسى وأمه إلى الشام نزلوا بقربة يقال لها " ناصرة " ، وبها سميت النصارى ، فأقام الى أن بلغ ثلاثين سنة ، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى ، ويداوي المرضى والزمّنى والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به ، وأحبه الناس ، وكثر أتباعه ، وعلاّه ذكره .

وحضر يوماً طعام بعض الملوك ، وكان دعا الناس إليه فقعده علي قصة يأكل منها ولا تنقص ، فقال الملك : من أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم . فنزل الملك عن مُلكه واتبعه في نفر من أصحابه ، فكانوا الحواريين .

وقيل : إنّ الحواريين هم الصّباغ الذي تقوم ذكره وأصحاب له . وقيل : كانوا صيادين ، وقيل قَصارين ، وقيل 5لملاحين والله أعلم ، وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً ،

وكانوا إذا جاعوا أو عطشوا قالوا : يا روح الله قد جُعتنا وعطشنا، فيضرب يده إلى الأرض . فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وما يشربون . فقالوا :مَنْ أفضل منا؟ إذا شئنا أأطعمتنا وسقيتنا. فقال : أفضل منكم مَنْ يَأْكُل مِنْ كَسْبِ يده . فصاروا يغسلون الثياب لا بالأجرة .

ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنه صَوَّرَ من الطين صورة طائر. ثم نفخ فيه فيصير طائراً بإذن الله ، قيل هو الخفاش ، وكان غالب على زمانه الطب ، فأتاهم بما أبرأ الأكمه (1) والأبرص وأحيا الموتى تعجيزاً لهم . فممن أحياه عازر. وكان صديقاً لعيسى . فمرض فأرسلت أخته إلى عيسى أن عازر يموت . فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام ، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام ، فأتى قبره فدعا له فعاش وبقي حتى وُلِدَ له .

وأحيا امرأة وعاشت وولد لها وأحيا سام بن نوح : كان يوماً مج الحواريين يذكر نوحاً والغرق والسفينة، فقالوا : لو بعثت لنا مَنْ شهد ذلك . فأتى تَلَّا وقال : هذا قبر سام بن نوح . ثم دعا الله فعاش ، وقال : قد قامت القيامة؟ فقال المسيح : لا ولكن دعوتُ ا الله فأحياك . فسألوه فأخبرهم ، ثم عاد ميتاً . وأحيا عُزَيْراً النبي قال له بنو إسرائيل : أحي لنا عزيزاً وإلا أحرقناك ، فدعا الله فعاش. فقالوا : ما تشهد لهذا الرجل ؟ قال : أشهد أنه عبد الله ورسوله . وأحيا يحيى بن زكريا . وأحيا غير مَنْ ذكرناه ، وكان يمشي على الماء.

ذكر نزول المائدة

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة ، وسبب ذلك أن الحواريين قالوا له : يا عيسى : { هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ } (2)؟ فدعا عيسى فقال : { اللَّهُمَّ رَبَّنَا انزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوْبَانِنَا وَأَخْرِنَا " .

فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد، فقال لهم : إنها مقيمة ما لم تدخروا منها فما مضى يومهم حتى ادخروا . وقيل : أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما

(1) الأكمه: الأعمى:.

(2) المائدة: 112 .

(3) المائدة: 114 .

أكل أولهم ، وقيل كان عليها من ثمار الجنة، وقيل : كانت تمد بكل طعام إلا اللحم ، وقيل : كانت سمكة فيها طعم كل شيء فلما أكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا : نشهد أنك رسول الله ، ثم تفرقوا ، فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده ، وقالوا : سحر أعينكم ، فافتتن بعضهم وكفر، فمسخوا خنازير.ليس فيهم امرأة ولا صبي فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا لم يتوالدوا .

وقيل : كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون إليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم ، فبكن عيسى، وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مُثَلَّة ولا عقوبة . واليهود ينظرون إلى شيءٍ لم يَرَوْا مثله ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحها.

فقال شمعون : يا روح الله أَمِنْ طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فقال المسيح : لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة إنما هو شيء خلقه الله بقدرته . فقال لهم : كلوا مما سألتم ، فقالوا له : كل أنت يا روح الله ، فقال : معاذ الله أن أكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها ، فدعا المرضى والزمى والفقراء ، فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبِعوا وهي بحالها ليم تنقص ، فصح المرضى والزمى ، واستغنى الفقراء ، ثم صدت وهم ينظرون إليها حتى توارت وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها .

وقيل : إنها نزلت أربعين يوماً كانت تنزل يوماً وتنقطع يوماً، وأمر الله عيسى أن يدعو إليها الفقراء دون الأغنياء ، ففعل ذلك ، فاشتد عِلن الأغنياء ووجدوا نزولها وشكُّوا في

ذلك وشككوا غيرهم فيها، فأوحى الله إلى عيسى إني شرطت أن أعذب المكذبين عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين ، فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً، فاصبحوا خنازير، فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين ، فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرّون على الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا .

ذكر رَفَع المسيح إلى السماء ونزوله إلى أمه وعوده إلى السماء

قيل : إنّ عيسى استقبله ناس من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وأمّه ، فسمع ذلك ودعا عليهم ، فاستجاب الله دعاءه